الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر1 – بن يوسف بن خدة
كلية العلوم الإسلامية

قسم اللغة العربية والدراسات القرآنية

مذكرة بيداغوجية في مادة:

موجهة لطلبة السنة الثانية جذع مشترك: شعبة: اللغة والحضارة

مقدمة استكمالا لمتطلبات التأهيل الجامعي ـ رتبة أستاذ محاضر (أ)

إعداد الدكتورة: سهام داوي
الرتبة: أستاذة محاضرة (ب)

السنة الجامعية:

السنة الجامعية : 1444هـ–1445هـ الموافق لـ: 2022م–2023م

تقـــــديم:

الحمد لله، والصلاة والسلام على حبيبنا ونبينا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فإنّ التحصيل العلمي في تخصص اللغة العربية والحضارة الإسلامية يذكي في الطالب مشاعر خاصة فخرا بالانتماء إلى هذه الحضارة الإسلامية الرائدة في مختلف عصورها، ويبث في نفسه الرغبة في عكس هذا الانتماء بتوسيع نطاق ثقافته الأصيلة، وتسجيل إسهاماته المطوّرة لمواهبه وقدراته العلمية والفنية بدافع التذوق الجمالي، والحسّ الحضاري.

ولقد جاءت هذه المادة الموسومة بـ "الآثار والفنون الإسلامية" في موضعها المناسب ضمن وحدات التعليم الأساسية للجذع المشترك في اللغة والحضارة الإسلامية، فمن خلال قيامي بتدريسها للسنة الرابعة على التوالي وقفتُ على الثراء المعرفي الذي يتضمنه برنامجها المقرّر، ودرجة التجاوب الم–لموسة من الطلبة، تفاعلا مع سائر المحاضرات التي لامسنا فيها عمق السننية الكونية، وأبعاد الزوايا الجمالية، بما اجتهدنا فيه من مراعاة العرض التفاعلي باستخدام الوسائل المتاحة في الكلية، حيث خرجنا بها من نطاق السرد والوصف الذي يغني فيه الاطّلاع على نص المحاضرة إلى العرض المصوّر، ومن عالمية مظان مخلفات الأمة الإسلامية إلى محلّية الشواهد الموجودة في بلادنا الجزائر بوفرة سخيّة، مع تشجيع الطلبة على الاستكشاف الميداني.

وتأتي هذه المذكرة البيداغوجية تتويجا للمزج بين المقرّر وما نرى الحاجة قائمة لتوضيحه وشرح تفاصيله، بما يسمح به المحدد الزمني المخصص للمادة، وما يتسنى من خلاله من تغطية المفردات الخاصة بها.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

بطاقة تقنية للمادة

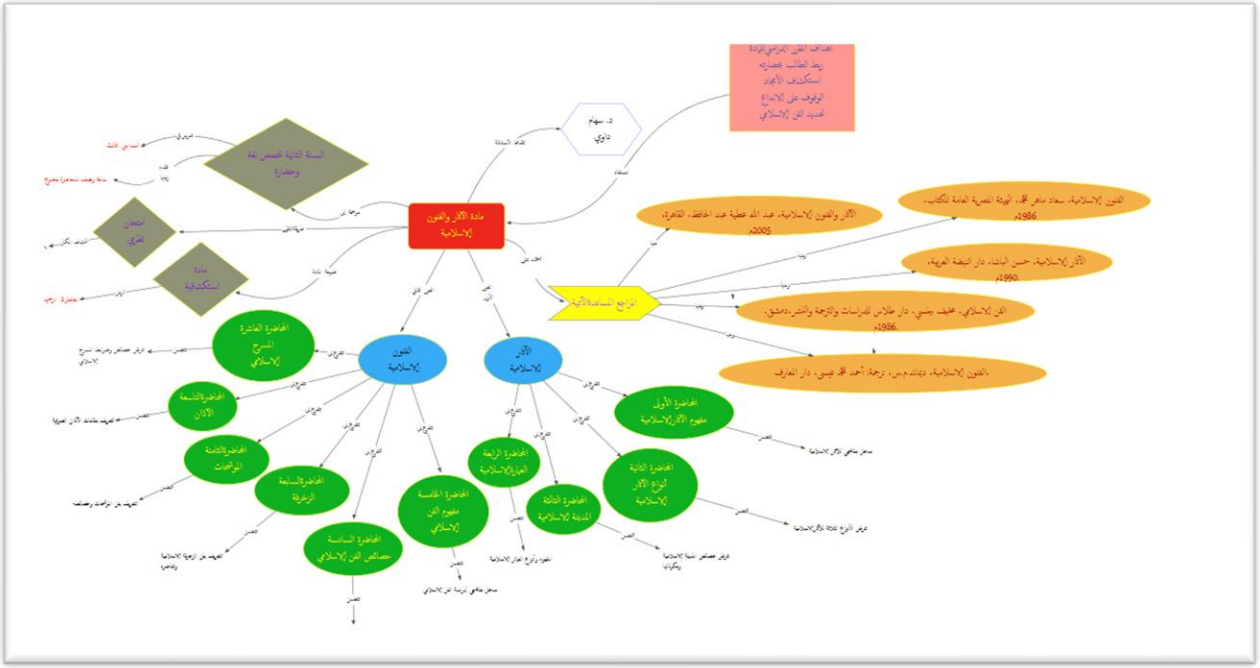

- **مادة:** الآثار والفنون الإسلامية
- **التصنيف:** وحدات التعليم الأساسية **المعامل:** 02 **الرصيد:** 04
- **المستوى المستهدف:** السنة الثانية جذع مشترك تخصص لغة عربية وحضارة إسلامية
- **الوصف:** محاضرة بتقييم كتابي حضوري نهاية السداسي
- **الحجم الساعي:** ساعة ونصف أسبوعيا / **عدد المحاضرات:** 13
- **الأستاذة المحاضرة:** د, سهام داوي s.daoui@univ-alger.dz

أهداف المادة:

الهدف العام:

- ✓ التعرّف على مميزات الحضارة الإسلامية في جانبيها الأثري العمراني والفني

الأهداف الجزئية:

- استكشاف الآثار الإسلامية من خلال تحديد أنواعها.
- التعرف على خصائص الآثار الإسلامية المميزة لها عن غيرها.
- توسيع نطاق الاطلاع على مظاهر الحضارة الإسلامية.
- التعريف بالمدينة الإسلامية ومكوناتها.
- القدرة على التمييز بين مختلف أنواع العمائر الإسلامية.
- تاصيل الفن الإسلامي وتقديم المصطلح في بيئته النظيفة.
- استكشاف فن الزخرفة الإسلامي وتفكيك عناصره.
- التعرف على فن الموشحات الأندلسية.
- التعريف بالمسرح الإسلامي والتشجيع على أداء هذا الفن.
- تذوق الأداء الفني لشعيرة الآذان.

ـ الاعتزاز بالانتماء إلى حضارة الإسلام.

المكتسبات القبلية

- ـ الاستلهام من التعايش مع المحيط بما فيه من آثار مبثوثة في ربوع الجزائر والعالم
- ـ وجود الذائقة الفنية لدى الطالب من خلال اطلاعه وتفاعله مع بيئته الإسلامية
- ـ تطابق بعض الفنون المدروسة مع هوايات الطالب.

قائمة المراجع المساعدة

- ابن خلدون، المقدمة، دار القلم، بيروت، ط4، د.ت.
- جورج ضو، تاريخ علم الآثار، ترجمة: بهيج شعبان، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة الثالثة، 1982م
- حسن الباشا، الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، 1990م.
- خالد محمد مصطفى عزب، تخطيط وعمارة المدن الإسلامية، كتاب الأمة، الدوحة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الطبعة الأولى، 1997م.
- ديماند.م.س، الفنون الإسلامية، ترجمة: أحمد محمد عيسى، دار المعارف، القاهرة،
- سعاد ماهر محمد، الفنون الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986م.
- صالح أحمد الشامي، الفن الإسلامي: التزام وابتداع، دار القلم، دمشق، ط1، 1990م.
- قبيلة فارس المالكي، تاريخ العمارة عبر العصور، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، 2011م.
- عاصم محمد رزق، علم الآثار بين النظرية والتطبيق، مكتبة مدبولي، 1996م.
- عبد الله عطية عبد الحافظ، الآثار والفنون الإسلامية، القاهرة، 2005م.
- عفيف بهنسي، الفن الإسلامي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر،دمشق، 1986م.
- علي حسن، الموجز في علم الآثار، الهيئة المصرية للكتاب، 1993م.

- ك. كروزويل، الآثار الإسلامية الأولى، ترجمة: عبد الهادي عبلة، دار قتيبة، دمشق، ط1، 1984م.
- محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، ط6، 1983م.
- محمد عبد العزيز، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني، الهيئة المصرية للكتاب، 1974م.
- المعتصم، محمد، المدينة الإسلامية وخصاصها، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، العدد الثاني، 1980م.

المقالات والدراسات:

نبيل ديب، علائق علم الآثار، مجلة الآثر، 2011/3/1م. على الرابط:

http://archaeologic.net/include/prints.php?ID=2785

إيميلي تيميل، حكايات عن حرق المخطوطات: تاريخ موجز للإبادة، ترجمة طارق فراج، مجلة الفيصل، جانفي 2021م، على الرابط: https://www.alfaisalmag.com/?author=1667

برنامج المادة

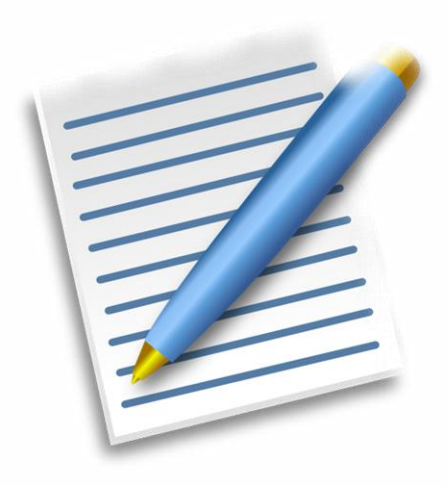

محاضرة تعريفية تمهيدية للمادة

المحور الأول: الآثار الإسلامية

1 ـ مدخل إلى علم الآثار

2 ـ مفهوم الآثار الإسلامية وأنواعها

3 ـ المدينة الإسلامية ومكوناتها

4 ـ العمارة الإسلامية: العمائر الدينية

5 ـ العمارة الإسلامية: العمائر المدنية

6 ـ حصة تطبيقية حول العمران الإسلامي في الجزائر (جامع الجزائر الأعظم)

المحور الثاني: الفنون الإسلامية

1 ـ مفهوم الفن الإسلامي وخصائصه

2 ـ فن الزخرفة

3 ـ فنّ الموشّحات

4 ـ المسرح الإسلامي

5 ـ الأذان عبادة صوتية

6. ـ فن التلاوة القرآنية

تمهـــــــــــيد

تتميز الحضارة الإسلامية بالامتداد والاستمرارية منذ ظهور الإسلام، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، بركائزها الراسخة في التوحيد، والتشريع، والثقافة المنسجمة مع اختلاف الناس في كلّ زمان ومكان، لتتوارث الأجيال دينا ثابتا، وإبداعا متجددا يصنع الرقي الحضاري في جانبيه: المادي والمعنوي، فالثقافة والمدنية هما وجها الحضارة الإسلامية العاكسان لطبيعتها، ومكانتها بين الحضارات العالمية.

وتعتبر الآثار والفنون الإسلامية من أهمّ مظاهر حضارتنا، بما تتيحه من اطّلاعٍ على إبداع السابقين، وما تسجله من تميّز يطبع الأمة المسلمة بين الأمم، ويؤكد استقلاليتها الشخصية، وثراءها الروحي والمادي المنبثق من هدي القرآن الكريم، والمنضبط بضوابطه الأخلاقية في سائر ميادين العمارة، والزينة، وفنون القول.

ولأهمية هذا الجانب في تخصص الحضارة الإسلامية، وما يبثه الوقوف على مخلفات الحقب الإسلامية المتعاقبة من تذوق جمالي واعتزاز بالانتماء، جاءت هذه المادة بمضمونها المنسجم مع ما يخدم الطالب في معارفه، وما يفتحه أمامه من فرص للبحث والاستزادة والإغراء بالاحتكاك بالآثار الإسلامية المبثوثة هنا وهناك في بلدنا الجزائر، وفي غيره من البلدان، ناهيك عن تذوق الفنون الراقية والتعرف على أصولها وضوابطها في ظلّ الشرع الحكيم.

وعبر المدى الزمني المتاح لإتمام السداسي، تتوزع محاضرات هذه المادة على محوريها الأساسيين: الآثار الإسلامية، والفنون الإسلامية، وفي كليهما نفع عظيم، وخير كثير يربط الطالب بحضارته الإسلامية في مدنيتها وثقافتها وقوفا على المفهوم والنماذج، وتعدادا للمبادئ والضوابط عند اللزوم.

المحاضرة 01: مدخل إلى علم الآثار

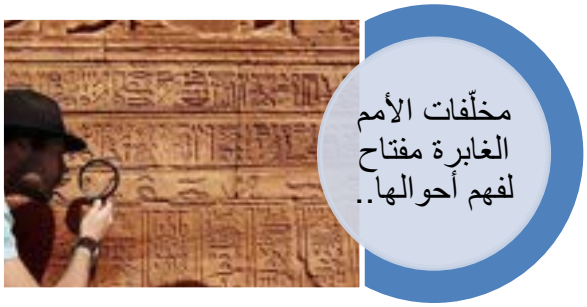

❖ أهداف المحاضرة:

- ✓ ـ تعريف الطالب بعلم الآثار
- ✓ ـ إثارة الاهتمام بتخصصات علم الآثار
- ✓ ـ توضيح العلاقة بين علم الآثار وغيره من العلوم
- ✓ ـ شرح عملية التنقيب الأثري
- ✓ ـ تقريب المفهوم المجرد بالصورة المشاهدة,

❖ عناصر المحاضرة:

- ـ مقدمة
- ـ مفهوم علم الآثار
- ـ تخصصات علم الاثار
- ـ علاقة علم الاثار بغيره من العلوم
- ـ مفهوم التنقيب الأثري وآلياته
- ـ خاتمة

مقدمة:

الآثار الإسلامية جزء من جملة الآثار العالمية التي خلّفتها الحضارات السابقة، بخصوصية عمرانية وقيْمية نابعة من صميم الدين الإسلامي بعقيدة التوحيد التي نفت الشريك عن الله تعالى، والمبادئ الأخلاقية التي رعت المشاعر العامة، وجسّدت الجمال دون أن تخدش الحياء، أو أن تبيح المحظورات الشرعية، وهي حرّية بالدراسة والتقديم للمهتمّين نسبة إلى القرون التي تعود إليها، وكشفا عن التميّز الذي طبعها به الإسلام.

وقبل الخوض في هذه الخصوصية، وهذا الطابع المختلف الذي طبعت به هذه الآثار العمرانية والمخطوطة، والمستعملة في الحياة اليومية للمسلمين يجدر بنا تقديم علم الآثار عموما، بتعريفه وتصنيفه بين العلوم، والإشارة إلى فائدته، وآليات البحث فيه ممّا تعلّق بالأشكال الملموسة والمنظورة المخلّفة عن السابقين ين يدي الدروس المتعلقة بأنواع الآثار الإسلامية ومميزاتها، وفنّية العمران في المدينة الإسلامية، وما تتميّز به من عمائر دينية ومدنية.

أوّلا ـ مفهوم علم الآثار وتخصصاته:

يقصد بالآثار عموما "الأشياء التي صنعها الإنسان أو استعملها من مسكن وأثاث وأدوات وفن، ثمّ خلّفها وراءه لتصل إلى الأجيال اللاحقة باعتبارها من موروثات الأجداد"[1]، ذلك أنّ من غرائز الإنسان حبّ القديم، وجعله من وسائل تصوّر الحياة السابقة. هذا الوصف الواقعي مهّد لظهور العلم فالالتفات نحو الماضي، والرغبة في معرفة الحضارات المنقرضة، والاهتمام بالأعمال الفنية من العصور القديمة شكّل الخطوة الأولى نحو ولادة العلم، ووضع قواعده وأركانه، وضبط أدواته الفاحصة لمختلف أنواع الآثار من أجل الدقة في التصنيف، والاستفادة من الدلالات والقيم التي تعكسها.

"وعلى ذلك، فإنّ معرفة الماضي، والوقوف على دقائقه وتفاصيله تقوم على ركيزتين أساسيتين، تختص أولاهما بعلم الآثار الذي يهتم بما تركه الإنسان من أشياء مادية ملموسة، وتختص ثانيتهما بعلم

[1] **ـ فيليب بوسان، مقدمات في علم الآثار، ترجمة: كريستين يوسف، ص11.**

اللغات الذي يهتم بما تركه هذا الإنسان من نصوص وكتابات، لأنّ هاتين الركيزتين لا غنى لإحداهما عن الأخرى"[1]

فائدة:

تنطلق عناية المسلمين بالآثار القديمة من الاستجابة إلى دعوة القرآن الكريم لأخذ العبرة من الأمم السابقة، حيث يقول تعالى:" **أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم، كانوا أكثر منهم وأشدّ منهم قوّة وآثارا في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون**" (غافر 82)

1 ـ تعريف علم الآثار:

كلمة (أركيولوجي)archaeologie يونانية الأصل، وهي مكونة من لفظين: archaios بمعنى قديم، وlogos بمعنى بحث أو موضوع أو علم، فيكون نطاق هذا العلم هو دراسة ما هو قديم، ويسمى الباحث في الاثار وتاريخها (الآركيولوجيست)[2]، وهو كلّ مهتم ببقايا الأمم السابقة، ومنقب عن مكنونات الأرض والجبال مما يحيله إلى أحوال الأمم السابقة، ويعتبر (هوميروس) الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد أبو علم الآثار، بالمفهوم البسيط باعتباره قد ضمّن مؤلفاته وصفا للمعالم الأثرية.

ويعتبر علم الآثار مع ذلك من العلوم الحديثة نسبيا، فإلى غاية منتصف القرن التاسع عشر، كان الاهتمام بالآثار والتحف القديمة مقصورا على بعض الأثرياء، والمغامرين، والهواة، حيث يحرصون على حيازة كلّ ما هو قديم، ويحتفظون به في قصورهم وبيوتهم لعرضه على الزائرين، ممّا دفع إلى نهب العديد من الآثار، وتهريبها عبر الدول، ومع مرور الوقت برزت ملامح هذا العلم، وأصبح له علماؤه المتخصصون الذين يحددون خصوصيات العصور، ومميزات الأمم من خلال بقاياها ومخلفاتها المادية. "وهي مصادر بالغة الصعوبة، حافلة بالمشقات، فالآثار كثيرة ومتنوعة، بل ومشتتة أيضا، ولا يزال الكثير منها مدفونا في باطن الأرض، يقتضي الوصول إليها كثيرا من الجهد والعمل، ومزيدا ومن الصبر"[3]

---

[1] ـ **عاصم محمد رزق، علم الآثار بين النظرية والتطبيق، ص13.**

[2] ـ **يُنظر: الموسوعة الرقمية لعلم الآثار، على الرابط: What is Archaeology (saa.org) تاريخ الاطلاع: 2022/09/22**

[3] ـ **علي حسن، الموجز في علم الآثار، ص6.**

وعليه فعلم الاثار، أو الآركيولوجي هو: علم يُعنى بدراسة المخلفات المادية الباقية من عصور ما قبل التاريخ، والعصور القديمة من الناحية الفنية والتاريخية، ويعرّف أيضا بأنه:"علم الحضارات الإنسانية، والمجتمعات البشرية التي اندثرت، وذلك اعتمادا على الحفائر التاريخية التي تنفذ في التلال والمواقع الأثرية، والبقايا المادية، والآثار، والوثائق"[1].

ويقوم هذا العلم على سلسلة من الخطوات تبدأ بالوصف المعتمد على الصورة، وتطعّمه بالشرح، وتعيين التاريخ، مع القيام بمحاولات تركيبية للوقوف على التقدير الحقيقي لنسبة القطعة الأثرية.

إضافة:

عميد علماء الآثار في الجزائر الدكتور رشيد بورويبة الذي تخرّج على يديه خيرة الباحثين في هذا المجال، وأبرزهم ثلاثة علماء تخصصوا في الآثار الإسلامية في الجزائر والمغرب العربي، وهم الدكتور علي خلاصي الذي توفي في شهر أكتوبر 2020، والدكتور (صالح بوقربة) الذي توفي في (2020/12/15) والذي قدّم العديد من المحاضرات في الجامعات والمراكز الثقافية والمتاحف. وقد جمع فيما بعد تلك الدراسات والمحاضرات في كتابيه: "أبحاث ودراسات في تاريخ وآثار المغرب الاسلامي وحضارته" (2011)، و"من قضايا التاريخ والآثار في الحضارة العربية الإسلامية" (2012) ، والدكتور محمد الطيب عقاب الذي لا يزال نشاطه في الميدان قائما ومشهودا عبر المحاضرات والمؤلفات.

2 ـ تخصصات علم الآثار:

يشتمل هذا العلم على تخصصات متعددة، ذات مساحة زمانية ومكانية محددة، نذكر منها:

ـ علم آثار ما قبل التاريخ[2]: يحتلّ هذا التخصص مركزا متميزا دون غيره، حيث يقتفي أثر حياة منفلتة من التأريخ العامر بالأحداث وصناعها، ويقف بالبقايا الملموسة على طبيعة حياة الإنسان الأول الذي لا يملك تصوّرا دقيقا له، حيث يكتفي بتتبع مخلفات قبائل لا أسماء لها تركت آثارا عديدة من صناعاتها

---

[1] **ـ جورج ضو، تاريخ علم الآثار، ترجمة: بهيج شعبان، ص16,**

[2] **ـ يُنظر: غلين دانيال، موجز تاريخ علم الآثار، ترجمة: عباس سيد أحمد، دار الفيصل الثقافية، 2000م، ص14 وما بعدها بتصرف.**

منثورة حول دورها، محتشدة في مدافنها، مخبأة عمدا تحت الأرض أو ضائعة على سطحها بطابع غالب أتاح تصنيف هذا العصر إلى مراحل أبرزها: العصر الحجري الأول، والعصر الحجري الأخير، والعصر البرونزي. ويمتد النطاق الزمني لهذا العصر عبر عشرات الآلاف من السنين، أمّا الرقعة الجغرافية فهي العالم بأسره ولا تحديد لمكان استقرّ فيه الإنسان الأوّل دون غيره.

"وإذا كانت الأبحاث قد تقدّمت بحمية في أوربا منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وإذا كانت إفريقيا الشمالية قد قدّمت بعض الاكتشافات الهامة، فإنّ سبر أغوار عصر ما قبل التاريخ لم يكاد يبدأ في أسيا الواسعة، باستثناء الشرق الأدنى. وقد كتب أحد الدارسين في مستهلّ القرن العشرين أنّ الدراسات المتعلّقة بما قبل تاريخ الإنسان لا تزال في دور الطفولة مع أنها نشأت منذ قرن تقريبا"[1]

ـ **علم الآثار الرومانية:** يُدرس هذا العلم من خلال العناصر الأثرية المشتركة التي خلفتها حضارة الرومان في كلّ الأماكن التي عاشت عليها جحافل روما، وتركت فيها بعد رحيلها طرقها الخاصة في البناء والزخرفة والعبادات، والنقود والأوزان والمقاييس ونحوها[2].

ـ **علم الآثار المصرية القديمة:** يكاد هذا العلم ينحصر في دراسة الآثار الفرعونية من قبور ومومياوات وأهرامات، ومتعلقات الملوك الفراعنة، وتكاد رقعته الجغرافية تنحصر في أرض مصر وما جاورها باعتبارها الموطن الأساسي لهذه الحضارة، وفي المكتبة الأثرية كتب عديدة مخصصة لهذه الحقبة، واشهر ما يمثلها من آثار[3].

ـ **علم الآثار البيزنطية:** "يمكن تطبيقه على الفن الذي ازدهر في كلّ الأراضي التي خضعت للإمبراطورية البيزنطية في مصر وسوريا وغيرها، وقد ظلّ قائما طوال الفترة الزمنية التي وجدت فيها هذه الإمبراطورية، ومن ثمّ فإنّ ميدانه واسع، ومتنوعاته الفنية كثيرة، ولا سيما في مجال هندسة البناء والزخرفة"[4]

ـ **علم الآثار الهندية:** حضارة الهنود عريقة، لها امتداد زماني ومكاني، ويحفها البحث الأثري من مختلف جوانبها للوقوف على درجة التمدن، وعواكس الحياة الثقافية والدينية والاجتماعية والاقتصادية وحتى

---

[1] ـ جورج ضو، تاريخ علم الآثار، ترجمة: بهيج شعبان، ص50-51.

[2] ـ يُنظر: علم الآثار بين النظرية والتطبيق، ص16.

[3] ـ يُنظر: موجز تاريخ علم الآثار، ص25 وما بعدها.

[4] ـ المرجع نفسه، ص17.

السياسية. حيث عُني بهذه الآثار خصوصا على سبيل تحديد السكان الأصليين في أمريكا، "فمنذ أن اكتشف (كريستوف كولومبس) العالم الجديد في 1492، أخذ العالم القديم يبحث عن أصل الهنود الأمريكيين، والمخلفات الأثرية التي وجدت هناك"[1]

ـ علم الآثار الإسلامية: هو "العلم المتعلّق بآثار أحدث من غيرها، تركها المسلمون على مدى يبعد عنا بخمسة عشر قرنا من الزمن، على رقعة جغرافية واسعة تكتسح قارتي إفريقيا وآسيا"[2]، وهذا العلم دون غيره الأكثر غنى فيما يتعلق بالفنون الصناعية، وهو العلم الذي توطّدت أركانه على أساس من علم الآثار البيزنطية في مصر وسوريا، وعلم الآثار الساسانية في إيران.

ورغم هذه التقسيمات التي تشمل ما ذكرنا وغيره ممّا يطول بنا المقام بذكره، فإنّ علم الآثار يهتم بصفة عامة بالكشف عن تاريخ البشرية منذ نشأتها حتى عصرها الحديث[3].

ثانيا ـ علاقة علم الآثار بغيره من العلوم:

لعلم الآثار ارتباط وثيق بعلوم أخرى تخدمه، وتتقاطع معه، هي:

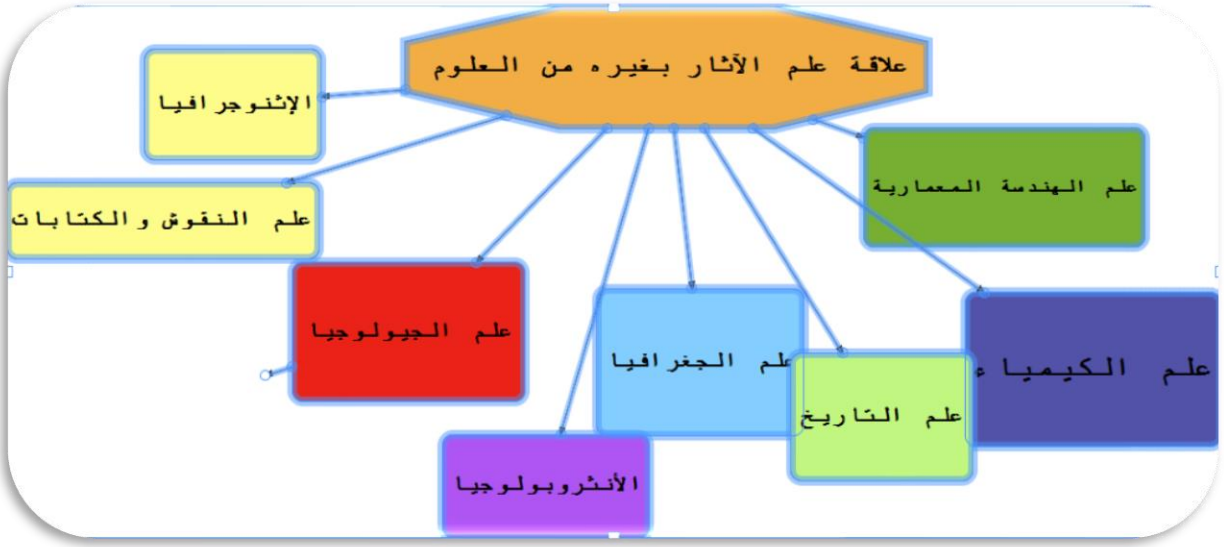

[1] ـ **يُنظر: غلين دانيال، موجز تاريخ علم الآثار، ص48.**

[2] ـ **عطية، عبد الله، الآثار والفنون الإسلامية، ص47.**

[3] ـ **يُنظر: تعريف و معنى الآثار في معجم المعاني الجامع - معجم عربي عربي"، www.almaany.com، اطّلع عليه بتاريخ 4-5-2020. بتصرّف**

- ✓ **علم الهندسة المعمارية:** هو العلم الذي يهتم بدراسة فنون الأبنية المعمارية سواء كانت أبنية دينية أو مدنية أو حربية. كما يهتم بدراسة هندسة المدن (urbanism) ليس فقط فيما يتعلق بوضع مخططات هذه المدن ، وإنما فيما يختص بجميع المشاكل الحضارية الناتجة عن الحياة البشرية المزدحمة فيها ، "ولا يخفى ما لهذه الدراسات من أهمية بالغة بالنسبة لعلم الآثار الذي يعنى بدراسة ما خلفه الإنسان من عمارة وفنون ، ودراسة هذه العمارة لا يمكن أن تتم بمعزل عن علم الهندسة المعمارية وأساليب البناء وطرقه ومواده وتصميماته ، وأصول هذه التصميمات ونحو ذلك ، أو حتى بمعزل عن دراسة المشكلات البنائية أو الحضرية لأطلال الإسكان البشري في الموقع الأثري الذي يحفر فيه"[1].
- ✓ **علم الكيمياء:** يلجأ الأثري إلى الكيمياء ليستعين بتحليل تاريخ الهياكل العظمية، واللقى الأثرية، ويقوم بتحديد أسباب وعوامل تلف الآثار، ث يتقاطع العلمان عند حدود معرفة العمر المفترض للمخلفات الأثرية[2].
- ✓ **علم التاريخ:** يخدم التاريخ علم الآثار بإثراء مادته المعلوماتية حول أحوال الحضارات السابقة، ومدى ما وصلت إليه من الإنجازات التي تعكسها قصورها وبيوتها، ومعابدها، وأوانيها، وتحديد الخصوصيات الأثرية لكل زمن. ومن جهته يقدّم علم الآثار للتاريخ المستندات الضرورية للكشف عن ملابسات الأحداث السابقة، وربطها ببعضها على غرار الوثائق والرسوم والصور.
- ✓ **علم الجغرافيا:** يستعين الأثري بجغرافيا العالم، وتموقع الحضارات للبحث في بقاياها المادية، وتحديد أماكن التنقيب، كما يستأنس الجغرافيون بشهادات الأثريين لتحديد التغيرات الحاصلة في خريطة العالم بفعل التصدعات والتباعد القاري وغيرها مما أثّر الحضارات انقساما وانتشارا.
- ✓ **علم الجيولوجيا:** يعنى هذا العلم بدراسة طبقات القشرة الأرضية وتكوينها ويحدد عصورها وهي الطبقات التي قد توجد فيها بقايا الكائنات وأدوات الإنسان وآلاته . "ومن ثمّ فإنّ تضافر جهود كلّ من الجيولوجي وعالم الآثار لبيان أهمية هذه المزايا والصفات يعدّ أمرا حيويا وضروريا، لأنه يمدّ هذا وذلك بالخبرة اللازمة لفهم ما يقابل كلاّ منهما من عُقد ومشكلات"[3]

---

[1] ـ **جورج ضو، تاريخ علم الآثار، ص16.**

[2] ـ **يُنظر: عبدالقادر دحدوح، مدخل الى علم الآثار وتقنياته، ص 2-3. بتصرّف**

[3] ـ **عاصم محمد رزق، علم الآثار بين النظرية والتطبيق، ص34.**

وينحصر مجال كل من الجيولوجيا والجغرافيا في نشاط الأجيال البشرية خلال الوسط الطبيعي الذي نما فيه الإنسان والحيوان ، ومع أن بعض الحيوانات ظلت متشابهة –كما هو معروف – طوال ما يقارب من أربعة آلاف عام ، فإن دراسة ما تحجر من هذه الحيوانات والنباتات تعد واحة من أهم الدراسات التي لا غنى عنها بالنسبة لعصر ما قبل التاريخ ، ولا بد منها من ثم لدراسة آثار هذا العصر .

- ✓ **الأنثروبولوجيا (علم الإنسان)**: يُعنى هذا العلم بدراسة بقايا المخلوقات البشرية والحيوانية، ويتمكن من خلال طبيعة الأعراق والأجناس من تحديد أماكن تنقل الشعوب واستقرارها، ويسلط الضوء أكثر على الخصوصيات الدقيقة للحقب الزمانية المتعاقبة. "وعلى ذلك فإنّ دراسة البقايا البشرية من جماجم وعظام دراسة اثرية أنثروبولوجية تأتي دائما بنتائج يستفيد منها علم الاثار، وتجعل هذا العلم ضمن أهمّ العلوم المساعدة له"[1]
- ✓ **علم الإثنوجرافيا** (Ethnograpgy): هو علم خصوصيات الشعوب ، ومجال دراسة الأخلاق والعادات والأديان المعاصرة لمختلف الحضارات والمجتمعات البشرية التي قامت على ظهر الأرض ، ولذلك فهو يشترك اشتراكاً وثيقاً مع علم الآثار[2] . لأن دراسة هذا العلم لا يمكن أن تفهم فهماً حقيقياً إلا من خلال الإستعانة الدائمة بعلم الإنثوجرافيا وما يعطيه من معلومات مختلفة حول أخلاق وعادات وأديان المجتمعات الإنسانية التي تدخل ضمن اهتمامات عالم الآثار ودراساته .
- ✓ **علم النقوش والكتابات**: يستعين الأثري باللغات القديمة لتحديد نسبة الآثار إلى أقوامها من خلال الاجتهاد في التعرّف على الخطوط المنقوشة على العمائر والحجارة والمكتوبة في المخطوطات، وكشف مدلولاتها وما تتضمنه من إشارات إلى التواريخ المتعلّقة بالتأسيس والتشييد، والمعلومات العاكسة للقيم السائدة في تلك المجتمعات الغابرة. وتشمل اللغويات عدّة علوم تُعنى بالمخلفات الأثرية على غرار علم المسكوكات الفاحص للقطع النقدية بما نُقش فيها من كتابات وصور، وعلم النقوش الذي يدرس التدوينات المحفورة في المواد الصلبة، وعلم قراءة الكتابات القديمة كالمسمارية والهيروغليفية، بل وعلم أوراق البردي الذي يدرس الوثائق المحفوظة على هذه الوسيلة البدائية للتدوين. "فالنصوص تقدم الكثير من المعلومات لشرح الآثار من

---

[1] ـ **المرجع السابق، ص33.**

[2] ـ **يُنظر: عبدالقادر دحدوح، مدخل الى علم الآثار وتقنياته، ص4. بتصرّف**

مقابر ومعابد وتوابيت، وتماثيل، وأوانٍ فخارية وحجرية، بل والحياة القديمة عموما من قوانين وعقود ونُظم اجتماعية وسياسية، وعليه فإنّ علم اللغات هام جدا بالنسبة لعالم الآثار"[1]

ثالثا ـ مفهوم التنقيب الأثري وأدواته:

التنقيب عن الآثار هو أحد الوسائل الرئيسية التي يعتمدها الأثري للعثور على مادة دراساته، من تحف، وبقايا أواني، ومدن قديمة، حيث يُطلق مصطلح "التنقيب الأثري" على أعمال الحفر التي يقوم بها علماء الآثار في الحقل الأثري لاستخراج التحف واللُّقى والبقايا الأثرية المدفونة تحت الأرض، وتتمّ هذه الأعمال بطريقة منتظمة وممنهجة تختلف عن أي اعمال حفر أخرى[2] وقد مرّ بمرحلتين:

الأولى: مرحلة المغامرة في البحث عن الكنوز القديمة الثمينة في المواقع الأثرية.

والثانية: أخذ فيها التنقيب الصبغة العلمية حيث ينظر إلى القيمة التاريخية قبل القيمة المادية. واستعمل التنقيب في مراحله الأولى الوسائل اليدوية والآلية للحفر والكشف في المواقع الأثرية الشهيرة توخيا للعثور على مخلفات مدفونة، غير أنه قد تطوّر حاليا بظهور العلوم المساعدة للكشف عن الآثار أو الكنوز المدفونة في باطن الأرض دون اللجوء إلى الحفر اليدوي . وأبرزها[3]:

أ- **التصوير الجوي** :

يساعد التصوير الجوي في التعرف على أماكن الآثار ولا سيما الأبنية الطينية منها عن طريق تحديد مخططات هذه الأبنية طبقاً لعلامات معينة تظهر في التربة والنباتات والظلال ، ومع هذه العلامات جميعاً تبدو بغير معنى أو مفهوم عندما يراها الإنسان العادي وهو واقف بينها على ظهر الأرض ، فإنها تترابط في الصورة المأخوذة من الجو بشكل يوضح للمنقب المتمرس الكثير من الظواهر الأثرية للموقع الذي يريد الحفر فيه .

---

[1] ـ علي حسن، الموجز في علم الآثار، ص15.

[2] ـ يُنظر: عطية، عبد الله، الآثار والفنون الإسلامية، ص23 وما بعدها.

[3] ـ يُنظر: نبيل ديب، علائق علم الآثار، مجلة الآثر، 2011/3/1م. على الرابط:
http://archaeologic.net/include/prints.php?ID=2785

ب- **التصوير بالأشعة فوق البنفسجية :-**

كثيراً ما يصاب الأثر الخارجي بتشققات دقيقة في قشرته السطحية ولا سيما للآثار التي تغطيها طبقة الورنيش السائل لحمايتها كاللوحات الفنية والأيقونات المسيحية وغيرها . وهذه التشققات لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة لأنها تكون تشققات رقيقة وشفافة جداً، أما إذا عكست عليها الأشعة فوق البنفسجية فإنه يمكن رؤيتها بوضوح ، وهنا تأتي أهمية استخدام هذه الأشعة بالنسبة لتصوير الأثر ومعالجته.

ج- **التصوير بالأشعة السينية :**

إذا كان التصوير الفوتوغرافي لا يظهر من الأجسام المصورة إلاّ شكلها المرئي (الخارجي) لأنه لا يمكنه إظهار ما بداخل هذا الكل من خصائص ومميزات ، فإنّ اكتشاف الأشعة السينية سنة (1895م) قد حل هذه المشكلة لما لهذه الأشعة من قدرة على النفاذ داخل الأجسام ، وقد استخدمت من ثم في ميدان ا لكشف الأثري للوقوف على ما تخفيه الأرض في باطنها من آثار ، كما استخدمت في تصوير بعض المومياوات الفرعونية.

خاتمة:

علم الآثار ذو أهمية بالغة في وقتنا الراهن رغم رياح العصرنة والتجديد، فهو يضمن تواصل الأجيال، والاطلاع على أحوال الأمم السابقة من خلال مخلفاتها المادية العمرانية، والتأثيثية من أواني وتحف، وحتى الملبوسة والمفروشة ممّا بقي إلى وقتنا الحالي، انتفاعا بالتطوّر المسجل في الوسائل العلمية البحثية لتقديم نتائج أفضل، والوصول إلى آثار أكثر لوجود بعضها تحت الأرض، مع ضمان العناية والحفظ بالدرجة التي يتطلبها نوع الأثر، فالحفر والتنقيب والاستكشاف في العمل الأثري مرحلة أولى، تعقبها مرحلة المعالجة والترميم، وتوفير الحماية والحفظ في المتاحف، وصولا إلى مرحلة التوثيق والفهرسة تسهيلا على الباحثين وأهل الاختصاص. وسوف ينفعنا البرنامج المسطّر لهذه المادة في الاطلاع على أنواع الآثار الإسلامية وخصائصها، وقوفا على العمائر المكونة للمدينة الإسلامية عبر الحقب الزمنية المتعاقبة في تاريخ الحضارة.

المحاضرة 02: مفهوم الآثار الإسلامية وأنواعها

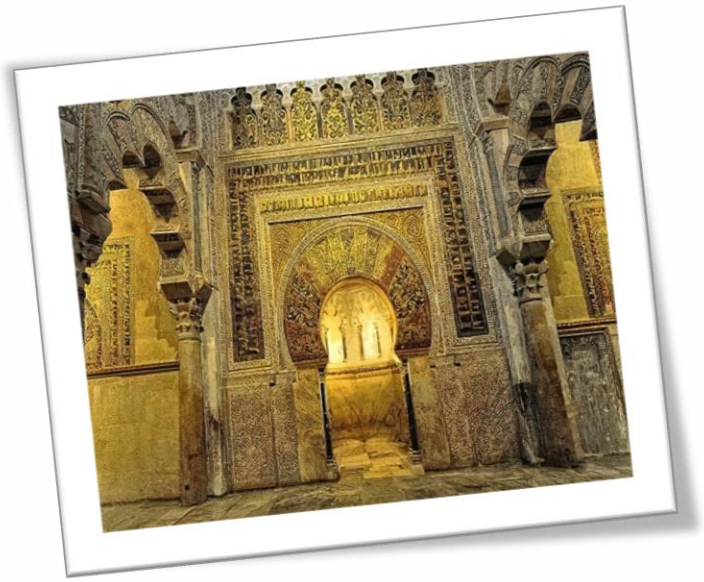

أهداف المحاضرة:

- ✓ ـ تعريف الطالب بالآثار الإسلامية
- ✓ ـ إثارة الانتباه إلى الآثار الإسلامية في الجزائر
- ✓ ـ التمييز بين أنواع الآثار الإسلامية
- ✓ ـ بعث روح العزة بالانتماء للحضارة الإسلامية

عناصر المحاضرة:

- ـ مقدمة
- ـ تاريخ الاهتمام بالآثار الإسلامية
- ـ مفهوم الآثار الإسلامية وخصائصها
- ـ أنواع الآثار الإسلامية

ـ خاتمة

مقدمة:

تنتشر الآثار الإسلامية على مساحة شاسعة من المعمورة بفعل الفتوحات وانتشار الدين الإسلامي، وتأثيره في ثقافات الشعوب، كما تمتد زمنيا على مدى قرون بدأت بظهور الإسلام، واستمرت إلى العصر الحديث في ظل الخلافة العثمانية وما ميّزها من آثار عريقة في العمران، ووسائل العيش مما انتشر في رقعة واسعة كانت تحت سيطرتها وسلطتها. ورغم ما أصاب الأمة من الضعف، لا تزال الشعوب الإسلامية تضع بصمتها وطابعها الخاص الذي ستتوارثه الأجيال.

أوّلا ـ تاريخ الاهتمام بالآثار الإسلامية

اهتم العلماء المسلمون بهذا الجانب في زمن مبكّر، فألّف (المقريزي) كتابا متميزا عن آثار مصر سماه (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) ، كذلك خصّ (ابن خلدون) العمارة الإسلامية بفصل كامل من مقدمته الشهيرة، كما اهتم المستشرقون الغربيون بدراسة الآثار الإسلامية، فغطوا بدراساتهم كل العصور، وتناولوا كلّ ما تعلق بالآثار والفنون لاستكشاف مميزات الحضارة الإسلامية من خلال مخلفاتها، وأبرز هؤلاء العالم الانجليزي الشهير (كريزول)[1] الذي ترك العديد من المؤلفات عن العمارة الإسلامية، كما أعدّ موسوعة بيبليوغرافية جمع فيها 12300 مؤلفا عن الفنون والآثار الإسلامية.

وازدهرت الدراسات الأوربية المتعلقة بالآثار الإسلامية مع منتصف القرن التاسع عشر، حيث ألحّت الحاجة المعرفية على استكشاف الآثار المادية للمسلمين، وتسجيل تراثهم إلى جانب تراث سائر الحضارات في العالم، ومن أشهر مواقع التنقيب عن الآثار الإسلامية حفائر بني حماد في الجزائر عام 1898م، وحفريات مدينة الزهراء بالأندلس 1910م، وحفريات الفسطاط بمصر 1912م، وحفريات سامراء بالعراق 1913م، ولا يزال الأثريون يجرون حفرياتهم في مختلف بقاع العالم التي مرّت بها الحضارة الإسلامية[2].

---

[1] ـ **موجز تاريخ الآثار، ص13.**

[2] ـ **للتوسع يُنظر كتاب الموجز في الآثار الإسلامية لعلي حسن.**

ثانيا ـ مفهوم الآثار الإسلامية وخصائصها:

1: تعريف علم الآثار الإسلامية

تتعدّد المفاهيم حول الآثار الإسلامية، وتتنوّع التعريفات، لكنها تلتقي عند معنى واحد، ولذلك نقتصر على ما أشار إلى المفهوم الشامل، ونصّه:

"نعني بالآثار الإسلامية كلّ ما وصل إلينا من آثار مادية، وتحف تطبيقية من العصور الإسلامية المختلفة السابقة، وهي متنوعة الأشكال، فهناك العمائر والمنشآت بأنواعها وطرزها المختلفة، وهناك التحف التطبيقية من الأواني والسجاد وغيرها"[1]

2: خصائص الآثار الإسلامية:

في القرآن الكريم إشارات كثيرة إلى الآثار والاعتبار بها. لما لها من أهمية في ربط الأجيال ببعضها، وتبليغ أنماط معيشة السابقين للاحقين تصوير لعدة حضارات: مثل: الحارة العثمانية، ولذلك فهي تتميز بعدة خصائص أبرزها[2]:

1ـ الإشارة إلى روح القرآن، وعكس مظاهر الإسلام.

2ـ تشبعها بالمبادئ الإسلامية المحرمة لتجسيد ذوات الأرواح والغيبيات.

3ـ غلبة الوظائف الدينية على الآثار العمرانية من قبيل المساجد والأربطة والمدارس.

4ـ حضور النص القرآني تدليلا على روح التقرب إلى الله تعالى.

5ـ الجنوح إلى الزخرفة الخطية إلى جانب سائر الأدوات المعروفة لدى الحضارات الأخرى مع التنويع البديع في ذلك.

6ـ أولوية الرسائل الروحية على الرسائل المادية.

وهذا الذي سجّله المهتمون بالآثار الإسلامية من الغرب، حيث يقول أحدهم:" ونلمس التأثير

---

[1] – **عبد الله عطية، الآثار والفنون الإسلامية، ص3.**

[2] ـ **يُنظر: عاصم محمد رزق، علم الآثار بين النظرية والتطبيق، ص54 بتصرف.**

الإسلامي وتعاليمه الاجتماعية في هندسة البيوت والقصور والحمامات، فيما يفرضه من محافظة وانغلاق على كلّ متطفل في سبيل إعطاء راحة وحرية داخلية للساكنين، ونرى ابتعاد الهندسة والزخرفة والنحت والتصوير الإسلامي في أوّل الأمر عن تمثيل الأشكال الإنسانية، متجها نحو الزخرفات الهندسية والنباتية"[1]

والحاصل أنّ الآثار الإسلامية منتشرة في رقعة واسعة من العالم، بقدر ما امتدّ نطاق سلطان دول الخلافة المتعاقبة، متربعة على ثلاث قارات هي: إفريقيا، وأوربا، وآسيا، مع خصوصية جمالية لا تخطئها العين، حتى وإن كانت بعض أنماط العمران موروثة عن الحضارات السابقة: البيزنطية، والرومانية، والساسانية، والبابلية، والاشورية، فروح افسلام تسري على يد الفنان المبدع، الذي صبّها في قالب إسلامي أصيل.

وإنّ القراءة التاريخية لتطوّر العمارة الإسلامية من حيث النشأة والنمو، ونماذجها الرائدة، يجعلها ظاهرة ذات خصوصية متميزة، تحمل العديد من المعاني والرموز الثقافية المهمة في التواصل الحضاري، حيث تعطي الآثار الإسلامية دينيها ومدنيها رسائل روحية وحارية توحي بعمق الجمال في هذا الدين، وتقدّم رسائل الإبداع المقيّد بضوابط الشريعة الإسلامية بلا إخلال بمتطلبات الإبهار.

ثالثا ـ أنواع الآثار الإسلامية:

تتنوّع الآثار التي تعكس الانتماء الإسلامي، وتجلّي نطاق الإبداع على مرّ العصور في ظلّ دول الخلافة المتعاقبة، حيث وصلنا شيء من آثار الأمويين، والعباسيين، والفاطميين، والأندلسيين، والمماليك، وغيرهم وصولا إلى العثمانيين الذين انتشرت مساجدهم، وعمائرهم المتنوعة في تركيا وخارجها امتدادا على كلّ الرقعة التي كانت تحت سيطرة الخليفة[2].

[1] ـ البروفيسور كريزويل، الآثار الإسلامية الأولى، ص7.

[2] ـ عطية، عبد الله، الاثار والفنون الإسلامية، بتصرف.

وأبرز الآثار التي تنسب إلى الإسلام في عصرنا هذا هي المساجد، والقصور، والتكايا، والمدارس، وبقايا الأواني والأفرشة، والمخطوطات، لذلك نصنفها على النحو الآتي:

1: الآثار العمرانية:

وهي تتجسّد عادة في المساجد التي لا يخلو منها قطر من الأقطار الإسلامية على تفاوت في تاريخ تشييدها الذي يمتدّ من القرون الأولى، إلى غاية نهاية الخلافة الإسلامية العثمانية، حيث تنوّعت أشكالها، وتعدّدت الرمزيات فيها عبر عدد مآذنها، وقبابها، وأشكال زخارفها، كذلك صمدت قلاع المسلمين، وأربطتهم، وأضرحتهم، وقصورهم، وبيوتهم، وخاناتهم، ومدارسهم، وكلّها آثار تعكس الحالة الدينية والمدنية التي كانت عليها المجتمعات المسلمة ضمن العهود المتعاقبة[1].

واقدم ما تعلق بالآثار الإسلامية العمرانية هو مسجد قباء، ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة، أما الدور التي سكنوها فقد أزيل ما بقي منها استغلالا للمكان في التوسعة الكبرى للحرم، ويشهد الجامع الأموي الصخم في دمشق على عصر بني أمية، مع بقايا بعض القصور في البوادي القريبة، بينما &تحتضن بغداد آثار العصر العباسي المتنوعة، وتنتشر في مصر وشمال إفريقيا آثار الفاطميين والعثمانيين. ونجد في الجزائر أقدم مسجد بناه الصحابي أبو المهاجر دينار في القرن الأول الهجري عند تقدم الفتوحات إلى الشمال الإفريقي[2]، مع عدد معتبر من الآثار الأندلسية التي خلدت استقرار الأندلسيين فيها بعد فرارهم من البطش المسيحي، إلى جانب الآثار العثمانية في شكل مدن

---

[1] ـ يُنظر: المعالم الأثرية في البلاد العربية، جامعة الدول العربية، بتصرف

[2] ـ المسجد يقع في ولاية ميلة، وهو قيد الترميم حاليا، ويعرف أيضا باسم "مسجد سيدي غانم"

قائمة بجميع مرافقها مما يعرف بالقصبات، واشهرها قصبة الجزائر، وقصبة دلس، حيث تضم المساجد، والدور، والحمامات، والقصور، والأضرحة وغيرها.

2: الآثار المكتوبة:

تتجلّى الاثار المكتوبة بالدرجة الأولى في المخطوطات الموضوعة في مختلف العلوم، مما قام المتأخرون بتحقيقه وطبعه لتستفيد منه الأجيال، والمعاهدات والرسائل التي كانت تُتبادل داخليا وخارجيا، وما وصل إلينا من رقاع، وشواهد قبور، وكتابات تعريفية بالمعالم الشهيرة[1].

وتعتبر مكتبة المخطوطات الإسلامية أضخم المكتبات في التراث العالمي، فهي التي فاقت في إنتاجها مختلف الحضارات اليونانية والهندية والصينية والفارسية والمصرية القديمة، وتجاوزت بمفاوز المنتج اللاتيني الأوروبي في القرون الوسطى، غير أنّ عددا من الأسباب قد أدّى إلى إتلافها، وحرمان الأجيال من درر نفيسة منها، وفي مقدمتها الحروب الضارية، والحرائق الإجرامية، والسرقات الاستعمارية التي حوّلت كنوز تراثنا الإسلامي إلى أوربا وأمريكا[2].

ونسجّل في هذا المقام جهودا محمودة لبعض الدول التي تسابقت في الاستكثار والاستنساخ للمخطوطات، والنموذج الأمثل هو ما فعله الملك موسى منسي حاكم إمبراطورية مالي المسلمة (ت

---

[1] ـ عطية، عبد الله، الاثار والفنون الإسلامية، ص11.

[2] ـ يُنظر: إيميلي تيميل، حكايات عن حرق المخطوطات: تاريخ موجز للإبادة، ترجمة طارق فراج، مجلة الفيصل، جانفي 2021م، على الرابط: https://www.alfaisalmag.com/?author=1667

1337م)، وصاحب الرحلة الحجية الشهيرة التي نثر فيها الذهب على كل من يقدم أو ينسخ له مخطوطا، وعاد محملا بآلاف المخطوطات التي أودعها عاصمته تمبكوتو حتى صارت من أشهر مدن المخطوطات في إفريقيا[1]. والأنموذج الثاني هو جهود سلاطين بني عثمان الذين تنافسوا في بناء وإنشاء المكتبات، وأسسوا دواوين النسخ، واستجلبوا الكتب من كل الإيالات العثمانية حتى صارت إسطنبول مليئة بنفائس المخطوطات المودعة في السليمانية وغيرها.

3: الأواني والألبسة:

تعكس الأواني والملبوسات بدورها طبيعة الحياة الإسلامية في عصورها المختلفة، وتعطي صورة عما كانوا يستعملونه من أدوات في معيشتهم، وما كانوا يرتدونه من ألبسة عادية وملكية، وما يفترشونه من زرابي وبُسط، وما بقي من الأسلحة والأمتعة صامدا رغم العوامل الطبيعية المؤثرة. وتحتن شيئا كثيرا من ذلك المتاحف الموجودة في الدول الإسلامية وغير الإسلامية مثل متحف اللوفر الذي يضمّ مئات القطع الأثرية الإسلامية في مربع خاص بها. وقد جاء في تقرير مفصّل عن هذا المتحف أنه "يتضمّن قسما للآثار الفنية الإسلامية يشمل عشرة آلاف قطعة المعروض منها حاليا حوالي 1300 قطعة بين أوان وبقايا أدوات مستعملة من عصور الإسلام المختلفة، وقد تأسس هذا المتحف في عام 1890م ويضم أعمال السيراميك والأعمال المعدنية والزجاجية والقماشية والمنمنمات والعاج والحجر وغيرها وأعمال أخرى"[2].

---

[1] ـ يُنظر: المعالم الأثرية في البلاد العربية، جامعة الدول العربية، بتصرف.

[2] ـ متحف اللوفر.. 13 قاعة تعانق كنوز الفن الإسلامي، مجلة البيان، بتاريخ 11 جويلية 2009م، على الرابط: (albayan.ae)

ولا تقتصر الفنون الإسلامية على متحف اللوفر فقط بل توجد متاحف أخرى تحتوي عليها مثل "متحف الفنون الزخرفية " الغني بالقطع والتحف الفنية القادمة من الإمبراطوريات الإسلامية من منتصف القرن الخامس عشر وحتى القرن الثامن عشر، وهو موجود في برلين بألمانيا.

خـاتمة:

يشهد العالم في بقاعه المختلفة على مرور المسلمين أو مكوثهم من خلال ما تركوا من مبان وأوانٍ ومخلفات متنوعة كانوا يستعملونها، وبقيت محفوظة بينهم رغم تقادم العصور، وفي طليعتها المساجد التي لا يخلو منها قطر من الأمة الإسلامية، والتي تعطينا صورة واضحة عن درجة الإبداع، والإتقان، والخصوصية الروحية، وتظل الآثار الإسلامية ذات طابع خاص بين الآثار الأخرى بما صبغها به الإسلام من صبغته العقدية، الروحية، والذوقية الجمالية، فهي خير شاهد على كلّ ذلك.

المحاضرة 03: المدينة الإسلامية

❖ أهداف المحاضرة:

- ✓ ـ تعريف الطلبة بالمدينة الإسلامية.
- ✓ ـ التدقيق في خصائص المدينة الإسلامية.
- ✓ ـ الكشف عن مكونات المدينة الإسلامية.
- ✓ ـ تقديم نماذج تاريخية للمدن الإسلامية.

❖ عناصر المحاضرة:

- ـ مقدمة
- ـ مفهوم المدينة الإسلامية
- ـ خصائص المدينة الإسلامية
- ـ مكونات المدينة الإسلامية
- ـ نماذج من المدن الإسلامية التاريخية
- ـ خاتمة

مقدمة:

صنّف الجغرافيون المسلمون المستوطنات البشرية في العالم الإسلامي تصنيفا هرميا حسب ما يناط بها من وظائف على النحو الآتي[1]:

1 ـ **الأمصار**: مفردها (مَصر)، وهي البلاد التي فيها مقر السلطان، وتتجمع فيها الدواوين، وتقام فيها الحدود، وتضاف إليها مدن الأقاليم، مثل دمشق، والقيروان.

2 ـ **القصبات**: وهي عواصم الأقاليم، ومقامها من الأمصار مقام الحُجاب من الملوك.

3 ـ **المدن**: وهي ما يلي القصبة من الأقاليم، ومقامها مقام الجند.

4 ـ **القرى**: تلحق بالمدن، وتكون أقل حجما، وكثافة، وأبعد مدى.

ونركّز في هذا المقام على طبيعة المدن الإسلامية، ومكوناتها العمرانية، مع شرح خصائصها التي تميزها عن غيرها من المدن، وتقديم نماذج تاريخية عنها.

أوّلا: مفهوم المدينة الإسلامية:

كان العصر الإسلامي الأوّل عصر ازدهار للمدن الإسلامية، ما أسسه المسلمون منها، وما جددوه من المدن القديمة التابعة للحضارات السابقة، ونشأت المدينة الإسلامية مع هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى (يثرب)، فكان المسجد نواتها، وانتشر البناء حوله عبر تخطيط متميز يراعي الخصوصية الدينية، وضمان الأمان الاجتماعي بين القبائل المتجاورة، "والمدينة الإسلامية ليست تقليدا للمدن القديمة، كما يزعم بعض المستشرقين، ولكن لها خصوصيتها المتفقة مع قواعد الفقه الإسلامي، وكذلك

[1] ـ **محمد المعتصم، المدينة الإسلامية وخصائصها، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، دولة قطر، العدد الثاني، 1980، ص216.**

كان للبيئة والمناخ أثرهما في تخطيط تلك المدن الإسلامية، وأيضا العادات والتقاليد المرتبطة بمبادئ وأصول الدين الإسلامي، كلّ ذلك كان له أثره في نشأة وتخطيط المدن الإسلامية"[1]

وعليه يمكن تعريف المدينة الإسلامية بأنها : "كلّ مستوطنة يوجد بها منبر، إذ يعني وجود المنبر وجود المسجد الجامع"[2]، فالأصل في تشييد المدن الإسلامية هو جمع الناس في بقعة واحدة للتعايش في ظلّ الالتزام بالدين الإسلامي، ولا أدلّ على هذا الالتزام من الاجتماع للصلوات المفروضة في بيوت الله، ورفع الآذان في أوقاته الخمس المعلومة.

ويحضر إلى جوار المسجد في المدينة الإسلامية كلّ ما تستقيم به حياة الناس ومعاشهم من مرافق معاشية كالبيوت وتجارية كالأسواق ونفعية كالخانات التي يأوي إليها التجار الوافدون، حيث تكفل مبيتهم واستراحتهم مع رواحلهم، كما تتنوع البيوت بين الفارهة المملوكة للأثرياء، والعادية التي يسكنها بسطاء الناس، وتحاط المدينة الإسلامية غالبا بسور يحميها من الاعتداءات الخارجية، وأبواب تنظم حركة الدخول والخروج، كما تشيد في بعضها القلاع الحصينة والحصون العالية لتيسير الدفاع، وضمان الحماية، وتبرز مكونات أخرى للمدينة الإسلامية كالحمامات المخصصة للنظافة، ودور السبيل للمسافرين وعابري السبيل، والجسور الرابطة بين المرتفعات، وغيرها من المكونات المتطورة عبر العصور.

ثانيا: خصائص المدينة الإسلامية

تبلورت الخصائص التي روعيت في بناء المدن عن فكر عمراني إسلامي أصيل، لخصه (ابن خلدون) في تخصيصه لجملة من الشروط أهمّها: أن تحاط بسور يدفع المضار، وأن تحتل موضعا متمنّعا من الأمكنة على هضبة أو على نهر، أو باستدارة بحر، ومراعاة اختيار الموقع الذي يتمتّع بطيب الهواء للسلامة من

---

[1] ـ عبد الله عطية، الآثار والفنون الإسلامية، ص31.

[2] –محمد المعتصم، المدينة الإسلامية وخصائصها، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، دولة قطر، العدد الثاني، 1980، ص218.

الأمراض، ومراعاة المزارع، فإنّ الزروع هي الأقوات"[1]، ونفصّل خصائص المدينة الإسلامية على النحو الآتي:

1 ـ الموقع: روعي في اختيار مواقع المدن الإسلامية الأولى ألاّ يفصل بينها وبين دولة الخلافة فاصل مائي، ففي خلافة عمر هزم المسلمون الفرس في موقعة القادسية سنة 15 هـ، ولم يتخذوا من عاصمة الفرس المسماة (المدائن) مدينة يستقرون بها، بل بنوا البصرة سنة 16هـ، واتخذوها مدينة لهم لأنه لا يفصلها فاصل مائي عن دولة الخلافة. لكن مع خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، والتمكن من خوض البحر، صارت المدن البحرية مرغوبة بالنظر إلى أدوارها الحربية والتجارية.

2 ـ الموضع: وهو يتعلق عادة بالحصانة الطبيعية، أو القداسة الدينية.

3 ـ حجم المدينة: تميزت المدينة الإسلامية بالضخامة إذا ما قورنت بمدن العالم، وتمت الإحصائيات بناء على عدد المساجد، وعدد المساكن والحمامات للوصول إلى الأعداد التقريبية للسكان.

4 ـ النقل: يحرص المسلمون على ربط مدنهم بشبكات النقل البري والبحري ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، وينوعون في الوسائل حسب إمكانيات العصر، خدمة للأفراد في مصالحهم وتنقلاتهم.

5 ـ **عناصر المدينة**: وهي عادة تبدأ بذكر المسجد، والسور الذي يحيط بها، وبعض العمائر الدينية كالزوايا والأضرحة، والمرافق كالمساكن والأسواق والأربطة وغيرها

وعلى العموم، "فإذا قلنا إنّ المدينة الفاضلة هي المدينة التي يحيا سكانها الحياة الإسلامية الصحيحة، فإنّ البناء العمراني لهذه المدينة سوف يعكس تلقائيا صفات المدينة الفاضلة في العمارة والتخطيط، فقد كانت المدن على مرّ العصور هي المرآة التي تنعكس على وجهها المعماري كلّ الخصائص الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، أو المقومات الحضارية لسكانها.."[2]

---

[1] ـ ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، 839/3.

[2] ـ عبد الباقي إبراهيم، تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة الإسلامية المعاصرة، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، مصر، د.ت.، ص10.

ويرى (ابن الأزرق) في كتابه "بدائع السلك في طبائع الملك"[1]، الذي يُعَدّ أول من تناول مقدمة ابن خلدون بالشرح، أنّ ما يجب مراعاته في أوضاع المدن أصلان مهمان: دفع المضار، وجلب المنافع، ثم يذكر أن المضار نوعان: أرضية ودفعها بإدارة سياج السور على المدينة، ووضعها في مكان ممتنع، إما على هضبة متوعرة من الجبل، وإما باستدارة بحر أو نهر حتى لا يوصل إليها إلا بعد العبور على جسر أو قنطرة فيصعب منالها على العدو، والنوع الثاني من المضار سماوي ودفعه باختيار المواضع طيبة الهواء لا ما خبث منه بركوده أو تعفن بمجاورته مياهًا فاسدة، أو منافع متعفنة أو مروجًا خبيثة يسرع المرض فيها للحيوان الكائن فيه لا محالة. ويكشف عن أن هناك علاقة طردية بين كثرة ساكني البلد وحركة الهواء فيها، ويضرب لذلك مثلاً بفاس التي كانت عند استبحار العمران بأفريقيا كثيرة السكان فكان ذلك معينًا على تموج الهواء وتخفيف الأذى عنه، وعندما خف ساكنوها ركد هواؤها المتعفن بفساد مياهها فكثر العفن والمرض.

والأصل الثاني جلب المنافع، وهو يتأتى بمراعاة أمور منها، توفر الماء وقرب المزارع الطيبة؛ لأن الزرع هو القوت، ولا خفاء في أن هذه الأمور تتفاوت بحسب الحاجة وما تدعو إليه ضرورة السكان.

ثالثا: مكونات المدينة الإسلامية[2]:

اتفق العمران الإسلامي منذ مدينة النمبي صلى الله عليه وسلم الأولى على حضور عناصر ضرورية في المدينة، هي:

1 ـ **المسجد الجامع الذي يمثل نواة المدينة:** فقد كانت له المكانة الأولى في صدر الإسلام، وذلك باعتباره ملتقى الحاكم بالسكان، "ومع مرور الوقت بدأت الشخصية الفردية للحاكم تظهر بالتدريج، فظهر اهتمامه برفاهيته وحاشيته وجنده، فارتبط المسجد بعد ذلك بقصر الحاكم ودواوينه، وبعد ذلك

---

[1] ـ ابن الأزرق، محمد بن علي، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: د. علي سامي النشار، وزارة الإعلام، العراق، ط1، ص274 وما بعدها.

[2] – المدينة الإسلامية وخصائصها، ص36.

انفصل المسجد عن قصر الحاكم الذي استمر يأخذ مكانه المتوسط في المدينة، ولم يعد المسجد الجامع بعد ذلك يمثل مركو الثقل لوسط المدينة كما يتضح من موقع الجامع الأزهر من قصور الفاطميين في القاهرة المعزية"[1]

2 ـ إحاطة السوق للمسجد الجامع مع وجود الخانات والوكالات بجوار الأسواق، ووجود مقرات الطوائف الحرفية، وشيوع ظاهرة التخصص في بيع سلعة واحدة بتجاور أصحاب السلع المتشابهة.

3 ـ وجود الأحياء السكنية المنفصلة عن بعضها (الخطط) بسبب صلة القرابة أو المهنة. "وهذا غاية العبقرية في التخطيط الإسكاني المبني على الفهم الدقيق للأجناس البشرية، بالحرص على غيجاد ما يسمى بالانسجام العرقي الحضري"[2]

4 ـ وجود الشوارع الضيقة، والأزقة المغطاة التي أطلق عليها السقائف، وخاصة في الأسواق لحماية المارة من الشمس والمطر، وتكاد تتشابه كل المدن الإسلامية في ذلك.

5 ـ وجود الأسوار حول المدينة، وتزويدها بالبوابات الضخمة التي تغلق وتفتح في مواعيد معينة رعاية للنظام الداخلي، وحماية من التسلل الخارجي.

وقد تقرّر ذلك ميدانيا في بناء المدن منذ مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسار عليه الحال، وذُكر بالمقال، حيث نجد (ابن أبي الربيع ـ ت272 هـ ـ) من القرن الثالث الهجري في مؤلفه الشهير "سلوك المالك في تدبير الممالك" يبيّن الأسس التي على الحاكم مراعاتها عند تأسيس المدينة، وهذه الأسس هي:

ـ أن يسوق إليها الماء العذب للشرب، حتى يسهل تناوله من غير عسف.

ـ أن يقدّر طرقها وشوارعها حتى تتناسب ولا تضيق.

---

[1] ـ عبد الباقي إبراهيم، تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة الإسلامية المعاصرة، ص33.

[2] ـ خالد عزب، تخطيط وعمارة المدن الإسلامية، ص79.

ـ أن يبني فيها جامعا للصلاة في وسطها ليقرب على جميع أهلها.

ـ أن يقدر أسواقها بكفايتها، لينال سكانها حوائجهم من قرب.

ـ أن يميّز قبائل ساكنيها بأن لا يجمع أضدادا مختلفة متباينة.

ـ إن أراد سكناها فليسكن أفسح أطرافها، وأن يجعل خواصه كنفا له من سائر جهاته.

ـ أن يحوطها بسور خوف اغتيال الأعداء، لأنها بجملتها دار واحدة.

ـ أن ينقل إليها من أهل الصنائع بقدر الحاجة لأهلها"[1]

رابعا: نماذج المدن الإسلامية التاريخية

أدّت التطورات التي صاحبت الفتوحات الإسلامية إلى عدد من إنجازات حضارية نهجت فيها الأمة الإسلامية نهج الأمم العظمى، حيث تمّ تاسيس عدد من المدن الإسلامية تاسيا بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت أولاها البصرة التي أسسها (عقبة بن غزوان) سنة 12 للهجرة، ثم الكوفة التي أسّسها (سعد بن أبي وقاص) سنة 17 للهجرة، والفسطاط التي أسّسها (عمرو بن العاص) سنة 21 للهجرة، والقيروان التي اسّسها (عقبة بن نافع) سنة 54 للهجرة، وغيرها كثير ممّا نع في هذا العرض بعض نماذجه:

[1] ـ سلوك المالك في تدبير الممالك، ابن أبي الربيع، تحقيق: د. ناجي التكريتي، دار الأندلس، بيروت، ص192.

المدينة المنورة نموذج المدينة الإسلامية الأول

كان النموذج الأول للمدينة متجسدا في أرض هجرة النبي صلى الله عليه وسلم موحيا ومؤسسا لعمران المدن، حيث جعل المسجد نواة ومركزا، وأحاطه بمنازل المهاجرين والأنصار، مع حكمة وحنكة في تقسيم الخطط (المربعات السكنية) على القبائل العربية المتجاورة بالمدينة، فكان المنهج النبوي قائما على تسكين كل قبيلة في خطة خاصة بها، على غرار ما يعرف اليوم بالأحياء السكنية، مع حرية تزويد كل خطة بالمرافق الضرورية لمعاش أهلها، وما هذا التقسيم إلا لضمان استقرار المدينة، وتسهيل صلة الأرحام بين القبائل، وإذابة ظاهرة العصبية المقيتة.

"كما حدّد صلى الله عليه وسلم موضع السوق، لعلمه أنّ الاستقرار لا يقوم إلا به، فهو مصدر التكسّب والتجارة والحرف.. وخُصصت بالمدينة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم دور للضيافة واستقبال الوفود، كان من أهمّها دار عبد الرحمن بن عوف الكبرى.. وحرص على تحصين المدينة من أضعف الجهات، وهي الجهة الشمالية، وذلك قبل قدوم الأحزاب إلى المدينة.. واتّخد لجنده المعسكرات خارج المدينة على مسافة منها"[1]

ومع توسع حركة الفتوحات كان النموذج مكررا في كل مدينة يشيدها المسلمون، "فالمسجد كان يمثل نواة المدن العربية التي اسسها العرب الفاتحون، حيث يقوم الفاتح بإنشاء مسجد جامع يتوسط المدينة، وبجواره داره وبيت المال، وبعد ذلك يبني حوله منازل وخطط لسكنى العرب الفاتحين، وهذا ما حدث في الفسطاط وجامعها، وحدث في البصرة والكوفة والقيروان بعد ذلك"[2]

---

[1] **ـ خالد محمد عزب، تخطيط وعمارة المدن الإسلامية، كتاب الأمة، الدوحة، ط1، 1997م، ص55-56.**

[2] **–عبد الله عطية، الآثار والفون الإسلامية، ص39.**

مدينة الفسطاط: نموذج من تخطيط الصحابة

فتح الصحابي الجليل عمرو بن العاص مصر سنة 18 هـ[1]، فسقت المدن تباعا حتى وصل إلى حصن بابليون الذي كانت تعسكر فيه القوات الرومانية لحماية مصر وحاصره وأسقطه، وكان قد خيّم مع جيشه في المكان، ووضع فسطاطه فيه، فأسس عاصمته هناك بدل الإسكندرية التي فتحها لاحقا بسبب الفاصل المائي بينها وبين مركز الخلافة. ولما تميز به موقع الفسطاط من الحصانة الطبيعية، وتوفر ظروف الحياة لمحاذاتها نهر النيل.

قام (عمرو بن العاص) أولا ببناء الجامع الذي يشكل نواة المدينة، ثم بنى لنفسه دارا محاذية له، وتميز الوجه المعماري للمدينة بالبساطة حيث قسمت إلى خطط توزعت عليها القبائل التي كانت في أغلبها يمنية، وكانت تفصل بين المنازل طرق مختلفة الأبعاد والمسافات عرفت بالزقاق أو الحارة، وسميت بأسماء القبال التي نزلت فيها، ولم تُحط الفسطاط في أول أمرها بالأسوار، إلى أن جاء (صلاح الدين الأيوبي) وبنى السور الكبير الذي أحاط بالقاهرة والفسطاط وما بينهما. "حيث اكتفى (عمرو بن العاص) باختيار موقع محصّن تحصينا طبيعيا لتأسيس الفسطاط، إذ تحميه التلال من الشرق والجنوب، ويحميه مجرى مائي طبيعي هو نهر النيل، الذي كان في الوقت نفسه يصل بين الشمال والجنوب، ولم يبق من الفسطاط غير جانب واحد مفتوح هو الجانب الشمالي، ولم يهتم (عمرو) بتحصين هذا الجانب، وربما كان السبب أنه لم يخش تعرضه للأخطار منه نظرا إلى أنّ الطريق إليه يمرّ من اقطار يسكنها العرب، كما أنّ هذا الجانب كان المجال الطبيعي لامتداد المدينة ونموها فيما بعد"[2]

---

[1] ـ يُنظر: فتوح البلدان للبلاذري، تحقيق عبد الله أنيس، ص298 وما بعدها.

[2] ـ خارد عزب، تخطيط وعمارة المدن الإسلامية، ص66.

وكانت دور الفسطاط تشيّد من طابق واحد بالطوب اللين وتتميز بالبساطة وعدم الارتفاع، وبعدها تطورت واحتوت على عدة طوابق. وأقيمت فيها حمامات، ومقبرة شهيرة دفن فيها عمرو بن العاص مع أربعة من الصحابة. "أما عن اسواق المدينة وصناعتها المحلية فقد تحددت نوعياتها تبعا للسلع التي كاتنت تباع فيها، وقد وجدت معظم الأسواق العامة خارج المدينة، وعلى شواطئ النيل بالقرب من المواصلات النهرية التي كانت تمثل المنفذ للتجارة الخارجية، وذلك بخلاف الأسواق الداخلية التي اقيمت حول المساجد"[1]

وتعاني المدينة في الوقت الحاضر من أزمة العمران التي طغت على المدن المصرية عامة، حيث العشوائية في البناء، وقلة الاهتمام بالثار الباقية من المدينة، باستثناء الجامع الشامخ رغم ما اصابه من تأثير الظروف المناخية والبشرية.

مدينة بغداد: تخطيط فريد من نوعه

بغداد مدينة عريقة، بناها الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور لتكون عاصمة الخلافة[2]، وجاءت في صورة ملهمة فريدة من نوعها، يمتد الشكل الدائري للمدينة على مساحة ستة كيلومترات ونصف تقريبًا، وتميزه الجدران القرميدية الضخمة التي ترتفع على ضفاف نهر دجلة.

تحتوي المدينة على أربعة أبواب متساوية في البُعد عن بعضها، وتمر فيها طُرق تؤدي إلى وسط المدينة. بوابة الكوفة في الجنوب الغربي، وبوابة البصرة في الجنوب الشرقي وتؤدي إلى قناة «سارات»

[1] ـ عبد الباقي إبراهيم، تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة الإسلامية المعاصرة، ص29.

[2] ـ يُنظر: فتوح البلدان للبلاذري، ص407، والبداية والنهاية لابن كثير، 52/10.

المائية، التي شكلت جزءًا أساسيًّا من شبكة المياه، إذ تسحب المياه من الفرات إلى دجلة. أما بوابة الشام في الشمال الغربي، فتؤدي إلى طريق الأنبار والصحراء نحو سوريا، وفي الشمال الشرقي تقع بوابة خراسان التي تؤدي إلى جسر من القوارب في نهر دجلة. على قمة البوابات الأربعة شُيِّدت نقاط حراسة لتأمين رؤية تتيح السيطرة على المدينة من الداخل، وكشف كيلومترات من بساتين النخيل المتشابكة خارجها، والسهول الخضراء التي زينت مياه نهر دجلة.

ويتشكل قلب مدينة بغداد من منطقة مُسيَّجة ضخمة يصل قطرها إلى نحو ألفي متر، تضم في منتصفها المنطقة الملكية، وخُصصت الهوامش الخارجية لقصور أبناء الخليفة ومنازل الموظفين في البلاط والخدم، ومطابخ الخليفة، وثكنات الخيالة من الحرس، إضافة إلى المكاتب الحكومية الأخرى. "فبنفس السلوب الذي تكرر في المدن الإسلامية في مصر قسم (المنصور) المدينة التي توسطها مسجده الكبير وقصره ودواوينه إلى قطاعات مختلفة اسكن فيها حاشيته ومواليه، وقد فصل الحاكم نفسه عن سكان المدينة بسورين حول قصره، كما أحاطها من الخارج بسور ثالث آخر، فكانت المدينة بهذا التكوين مرتبطة بكل مقوماتها بشخصية الحاكم"[1]

مدينة القسطنطينية شاهد باق على الحضارة الإسلامية

كانت القسطنطينية مدينة بيزنطية مسيحية يغلب عليها الطابع اليوناني المسيحي، وظلت عاصمة للإمبراطورية البيزنطية لنحو عشرة قرون إلى أن فتحها السلطان العثماني محمد الفاتح عام 1453م[2]، فتحولت إلى عاصمة إسلامية كبيرة، وتغير اسمها إلى (إسلام بول) ثم (اسطنبول)، وعكست خصائص

[1] ـ عبد الباقي إبراهيم، تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة الإسلامية المعاصرة، ص31.

[2] ـ كيتي، برناردين، فتح القسطنطينية، ترجمة: شكري محمود، مكتبة النهضة، بغداد، 1962، ص9 وما بعدها.

المدينة الإسلامية فتغير وجهها وفق خطة مدروسة أشرف عليها السلطان محمد الفاتح بنفسه، حيث كان يهدف إلى تغيير المظهر اليوناني المسيحي، فشيد مئات العمائر الإسلامية، وفي طليعتها المساجد التي لا تزال صامدة ومتنامية إلى يومنا هذا. ناهيك عن المدارس التعليمية، والتكايا الصوفية، والقصور المخملية، والبيوت البسيطة التي سكنتها عامة الشعب.

وتتألق مدينة إسطنبول حاليا باعتبارها مهد الحارة العثمانية، ونقطة التلاقي بين قارتي أوربا وآسيا، حيث تجذب الاثار العثمانية الكثيرة الموجودة فيها ملايين السياح سنويا ليعيشوا جوا يستهويهم كثيرا وسط الثار القديمة، وفي حضن التقدّم الواضح في تسيير حياة الناس على مختلف المستويات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية باعتبارها المركز الاقتصادي الكبير في الأناضول.

ومن أشهر الاثار الشاهدة على تحوّل هذه المدينة مسجد (ايا صوفيا)، وهو في أصله كنيسة يونانية أرثوذكسية سابقة تم تحويلها إلى مسجد في عام 1584، ثمّ جرى تحويل المبنى إلى متحف عام 1964، وعاد إلى عمله كمسجد عام 2013م.

خاتمة:

كان لتأسيس المدن أثره في تثبيت أركان الدولة الإسلامية الناشئة، منذ مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، وعلى مسار تاريخ المدن العريقة التي كلّلت حركة الفتوحات الإسلامية، مثل: البصرة، والكوفة، وبغداد، والفسطاط، والقسطنطينية، والقيروان وغيرها، ويتشابه تخطاط هذه المدن إلى حد كبير اقتداء بمخطط المدينة النبوية، ومحافظة على المكونات الرئيسية في المدينة من عمائر دينية ومدنية نقوم بتفصيل طبيعتها وأدوارها في المحاضرتين اللاحقتين.

المحاضرة 04: العمارة الإسلامية (1): العمائر الدينية

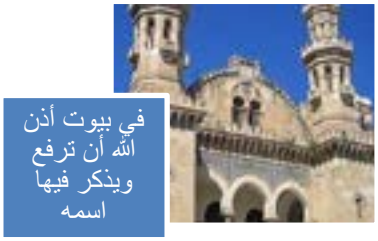

❖ أهداف المحاضرة:

- ✓ ـ الوقوف على مفهوم العمارة الإسلامية
- ✓ ـ تصنيف العمائر الإسلامية
- ✓ ـ التعريف بالعمائر الدينية
- ✓ ـ تقديم نماذج عن العمائر الدينية

❖ عناصر المحاضرة:

- ـ مقدمة
- ـ تعريف العمارة
- ـ خصائص العمارة الإسلامية
- ـ نماذج العمائر الدينية
- ـ خاتمة

مقدمة:

يمتدّ تاريخ العمارة الإسلامية من القرن السابع إلى القرن التاسع عشر الميلادي، أي منذ ظهور الإسلام وإلى غاية وقوع الدول الإسلامية تحت سيطرة القوى الاستعمارية التي عطّلت فيها حركية التمدّن النابعة من ثقافتها وروح انتمائها، وصبغتها بصبغتها الخاصة بنية السّلخ عن الهوية، والطبع بالطابع الغربي تحت قناعة الهيمنة التامة للحضارة الغربية على العالم. الحال الذي استمرّ حتى مع خروج المستعمر ليلتهي المسلم المعاصر عن مراعاة الطابع الإسلامي بسبل العيش، والسير السريع على خطى العالم المتقدّم بتفاصيل ثقافته ومعاشه. وتتفطّن فئة من المسلمين لخطر تغييب روح الإسلام من العمران، وضرورة العودة السريعة إلى الطراز المعماري الأصيل العاكس لخصوصية الأمة.

وإنّ العمران أهمّ ما وصلنا من آثار إسلامية عريقة، تثبت الخصوصية، وتمزج الدين بالدنيا، حيث تزدان دول العالم بروائع العمارة الإسلامية وفي طليعتها العمائر الدينية التي أثّرت على سائر العمائر، فقد ارتبطت بها بعض العناصر وتعدّتها إلى غيرها، مثل القباب التي صارت تزين بها الدور، والصحون التي تجمّل القصور، ناهيك عن النوافير المتوسطة لباحات البيوت دلالة على النظافة التي يتميز بها ديننا، وإضفاء للجمال على يوميات الناس.

ونسير في هذا الدرس وفق تسلسل منهجي يبدأ من التعريف بالعمارة، وذكر خصائصها في ظلّ الإسلام، ويصنّف العمائر وفق وظيفتها إلى دينية ومدنية، ليخلص إلى استجلاء الهوية المعمارية للأمة الإسلامية من خلال شواهدها الأثرية الباقية إلى يومنا هذا من نماذج العمائر الدينية لننتقل في المحاضرة الموالية إلى التعريف بالعمائر المدنية.

أوّلا: تعريف العمارة: العمارة هي " تشكيل وظيفي يؤدي أغراضا إنسانية، ومتطلبات حياتية بوسائل مكانية ومادية، وبارتباط وثيق بحياة المجتمع وزمانه، لذا فإنها تخضع للمؤثرات الحضارية والزمانية والاجتماعية والاقتصادية، إضافة إلى خضوعها لعوامل طبيعية ومناخية"[1]

[1] **ـ قبيلة فارس المالكي، تاريخ العمارة عبر العصور، ص16.**

وفي تعريف آخر أبسط هي:" إنشاء العمائر النافعة الجميلة وفق منهج معماري أدبي علمي فني شرعي وظيفي جمالي، ملتزم بالشرع، متناسق مع البيئة، مشبع لحاجات مالكه"[1]

فالجمال في العمارة الإسلامية نابع من البساطة وعدم التكلف، بهدف الانتفاع بعيدا عن الفخامة والأبهة.

ثانيا: خصائص العمارة الإسلامية

1 . **الخصوصية الدينية:** وهي نابعة من الإسلام، ومنسجمة مع هدي القرآن في توحيد الله تعالى، والاستجابة لأهداف عمارة الأرض التعبدية الروحية، والمادية النفعية بما يتوازن به حالهم في الحياة، فحرص المعماريون المسلمون على تشييد المآذن لرفع الأذان، والقباب لتغطية الحجرات، والأقبية لتغطية بعض الممرات والدهاليز، والمداخل ذات الطرز المتنوعة، والأعمدة البديعة مما يعتبر من العناصر الأصيلة في العمران.

2. **الخصوصية الأخلاقية:** وهي نابعة من رسالة الإسلام، بما تجسّده من انضباط في التصميم، ورعاية لحقوق الناس فيما بينهم حكاما ومحكومين، ضمانا للستر، وتوفيرا للجمال، وابتعادا عن مظاهر المجون والترف الذي لا يتناسب مع جوهر الإسلام.

3 ـ **الخصوصية البيئية:** وهي عامل مهمّ في تنوّع الطرز الإسلامية المعمارية، حيث تستجيب المباني لطبيعة الأمكنة، وأعراف الناس، وتتلاءم مع البنية المحلية في الألوان ومواد البناء المستعملة.

4 ـ **الخصوصية الجمالية:** اهتم المعماريون السلمون بزخرفة المباني داخليا وخارجيا، مستخدمين في ذلك أساليب متنوعة، ومتفننين في الزخرفة بأنواعها المختلفة، مع الحرص على الكسوة الداخلية والخارجية للجدران بما يبعد الملل عن الناظرين، ويبث الإيجابية فيهم.

---

[1] ـ **السراج، أحمد، العمارة الإسلامية: خصائص وآثار، ص13.**

ثالثا: أنواع العمائر الإسلامية:

يمكن تصنيف العمائر الإسلامية إلى صنفين رئيسيين: العمائر الدينية والعمائر المدنية، ونكتفي في هذه المحاضرة بعرض نماذج للدينية منها على أن نواصل في المحاضرة الموالية مع عرض العمائر المدنية.

❖ العمائر الدينية

"تؤدي المباني الدينية دورا رئيسيا في تحديد الهوية المعمارية للمدن، فالشخصية البصرية للمباني الدينية هي الأكثر انتشارا، والأقوى حضورا في النسيج المعماري للمدن، وذلك لارتباطها المباشر بعامة الناس، ولمكانتها الروحية، وقيمتها الفنية"[1]، وأبرز نماذج العمائر الدينية هي:

1 ـ المساجد:

المسجد رمز من رموز الإسلام، لا تخلو منه مدينة ولا قرية، يؤدي وظيفة جمع الناس لعبادة الصلاة، ويتعداها إلى نشر الدعوة، وتلقين العلوم، وقد احتل مكانة عظيمة عند تأسيس الدولة الإسلامية على يد الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان مقرا للحكم والفتوى والإدارة والتشاور وإعلان الجهاد، وأساس نموذجه العمراني هو المسجد النبوي الذي وجه إليه الرسول صلى الله عليه وسلم، مع ما ناله من تطوير بمرور القرون، وتعتبر المئذنة، والقبة وقاعة الصلاة مع الفناء أحيانا المكونات الرئيسية المميزة للمساجد في بقاع الأرض، مع بعض التغييرات التي تتماشى مع البيئة والظروف، وتنبثق عن الرغبة في الإبداع.

---

[1] – **محسن محمد صالح، دراسات في التراث الثقافي للقدس، ص121.**

ويعتبر المسجد النبوي[1] أول نموذج العمارة الإسلامية، حيث بيّن عليه الصلاة والسلام من خلاله المخطط الأساسي لبناء المساجد، وظل النموذج المقتدى في كل المساجد الجامعة في البلاد الإسلامية في القرون الأولى، مثل مساجد البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان، مع مراعاة الإبداع في الزخرفة وإلحاق بعض العناصر المعمارية التي أفت كالمآذن والمحاريب والمنابر، وغيرها من التفاصيل التي انتقلت من المساجد إلى مختلف العمائر كالقصور والدور والمدارس.

2 ـ المدارس:

كان السلاجقة أول من أسّس المدارس في العصر الإسلامي في حدود القرن الخامس الهجري، حيث ظهرت المدارس شرقا، وامتدت غربا إلى أن وصلت إلى بلاد المغرب، "وتشير الدراسات إلى أنّ إنشاء المدارس في عهد السلاجقة كان بهدف نشر المذاهب السنية، ومحاربة المذاهب الشيعية عن طريق العلم والتدريس.. وكان للمدارس أثر كبير في تطور العمارة الإسلامية حيث ارتبط بظهورها نشأة طراز خاص بها اعتمد على الإيوان (وهو غرفة ذات ثلاثة جدران)"[2]

---

[1] ـ كان بناؤه بسيطا، بجدران أربعة، وثلاثة ابواب، مع توجيه قبلته إلى بيت المقدس، وبعد سبعة عشر شهرا من الهجرة تمّ تحويل القبلة إلى الكعبة فتمت إعادة تهيته بما يتناسب مع القبلة الجديدة، وفرشت أرضه بالحصى، وكان يلقي خطبة الجمعة واقفا مستندا إلى جذع نخل، ثمّ صنع له منبر، ومع ازدياد أعداد المسلمين تمّت توسعته في السنة الخامسة للهجرة مع بناء حجرات لزوجات النبي صلى الله عليه وسلم بجواره. وأوّل من أدخل المئذنة إلى المسجد النبوي هو عمر بن عبد العزيز في توسعة الوليد للمسجد بين عامي 88 ـ 91هـ

[2] – عبد الله عطية، الاثار والفنون الإسلامية، ص109.

وتخطيط المدرسة يتكون في الغالب من صحن أوسط (فناء)، تُفتح عليه إيوانات المدرسة التي كانت تُستغل كقاعات للتدريس، ويكون عددها بعدد المذاهب الفقهية المدرسة، حيث كانت المدارس السورية تخصص لمذهب واحد أو مذهبين أحيانا، وهما الشافعي والحنفي، فتتكون في الغالب من إيوانين تحيط بهما حجرات للطلبة، أما المدارس المصرية فكانت مخصصة لتدريس مذهب واحد، هو المالكي، أو الشافعي، أو الحنفي، فيكون أحد الإيوانين للتدريس، ويُتخذ الثاني مسجدا، واصبحت المدارس المصرية تشتمل على أربعة إيوانات منذ تأسيس المدرسة الصالحية سنة 1243م، وذلك لتدريس المذاهب الأربعة، وكذلك المدرسة المستنصرية في بغداد التي زادت على تعليم المذاهب تعليم العقيدة والنحو والطب والفلسفة وسائر العلوم، فكانت بذلك أقدم جامعة عربية متخصصة.

وفي العصر المملوكي واصلت المدارس تألقها، وبلغت أوجّه، وأصبحت تدرّس المذاهب الأربعة، وتتشابه في تكونها من أربعة إيوانات تطل على صحن واحد. ولم تقتصر في طبيعتها على التدريس الفقهي، فقد اشتهرت إلى جانب المدارس الفقهية مدارس قرآنية، واخرى حديثية، ومدارس طبية انفتحت على عدّة علوم لتكوين العلماء العاملين نفعا للأمة، ومسايرة لركب التطور الحضاري.وتتميز هذه المدارس بضخامتها، وارتفاع واجهتها الحجرية، ومدخلها التذكاري العظيم.

كما أنّ مما يميّز المدرسة على المسجد وجود مسكن خاص بطلبة العلم فيها، ومن اشهر نماذجها التاريخية المدرسة النظامية، والمدرسة المستنصرية، والمدرسة الصالحية.

مثال: المدرسة المستنصرية ببغداد[1]:

يدرس بها الطالب ويقيم فيها ولا يغادرها إلى منزله إلا في الإجازات أو بعد مدة انتهاء الطلب، وتتولى إدارة المدرسة الإنفاق عليه وتمنحه ملبسا وطعاما ومبلغا قدره ديناران شهريا، علاوة على ما يحصل عليه من الفاكهة والحلوى والصابون والزيت وما إلى ذلك، وهي تتألف المدرسة من 78 غرفة

[1] ـ يُنظر: هدى ناجي عبيد صباح، المدارس العلمية التراثية في بغداد، مجلة المورد، المجلد 44، العدد 3ـ4، ص184 ـ 188.

مخصصة لسكن الطلبة، كل غرفة مخصصة لأربعة طلاب، وساحة فسيحة تزينها ساعة ضخمة، وعدد من الأواوين أو قاعات التدريس، وخزانة كتب تضم آلاف الكتب من مختلف التخصصات. وأما نظام الدراسة فهو على المذاهب الأربعة، وقد جعل لكل مذهب مدرس من أكابر المدرسين وأربعة معيدين من المشهود لهم بالعلم والتصنيف المتقن، وكان الخليفة يشارك في اختيارهم بنفسه، وروعي في اختيارهم السمعة الحسنة والدراية التامة بقواعد المذهب وفروعه، وكان المدرس يحصل على اثني عشر دينارا شهريا وبعض المخصصات العينية كي لا ينشغل بغير العلم، ومن عادته أن يجلس أثناء التدريس على كرسي من الجريد مرتديا السواد على حين يقف أحد مساعده على يمينه والآخر على يساره، ولم يكن هناك نظام للإحالة على المعاش بالنسبة للأستاذ وإنما يظل يدرس طالما كان قادرا على التدريس. وكان الطلبة بدورهم ينقسمون إلى فئتين: الصبيان الذين يدرسون في المدارس القرآنية الواقعة خارج المدرسة، والبالغين الذين يقيمون داخلها ويدرسون علوم الشريعة واللغة والطب والرياضيات، وقد كان عددهم عند افتتاحها 248 طالبا وبلغ عدد المدرسين والمعيدين 20 فكأن نسبة هؤلاء إلى أولئك هي 1 إلى 12.4 طالب الأمر الذي يدل على مدى العناية التي يحصل عليها الطلاب من مدرسيهم، يضاف لذلك أنه توفرت للطلاب بعض الوسائل التي تساعدهم على التحصيل من مثل وجود دار كتب ضخمة تبلغ ثمانين ألف كتاب في مختلف التخصصات، ومستشفى مجهزة بأحدث المعدات وما إلى ذلك من وسائل علمية.

وعموما " لم تكن المدارس التي أخذت تنتشر في العالم الإسلامي على شاكلة واحدة وإنما كان هناك مدارس متعددة، وإذا كانت المدارس في عصرنا تصنف إلى مدارس أولية، ومدارس متوسطة، ومدارس ثانوية أو عالية؛ فإن المدارس الإسلامية كانت تصنف وفقا للتخصصات العلمية، فكانت لدينا مدارس فقهية ومدارس قرآنية ومدارس حديثية ومدارس طبية"[1].

ولئن كانت المساجد والمدارس خالصة للعبادة والعلم، فثمة من العمائر الدينية ما هو مخصص للجهاد والتصوف والانقطاع عن الناس في الخلوات على ما نذكره في الأنواع الموالية.

[1] **ـ ناجي معروف، نشأة المدارس المستقلة في الإسلام، بغداد، مكتبة الأزهر، 1966، ص13.**

3 ـ الأربطة:

هي جمع رباط، وهي "منشآت دينية وعسكرية كان يقيم بها المحاربون للتعبد، والاستعداد للجهاد، والتربص لأعداء الإسلام الذين يغيرون على حدود الدولة الإسلامية، وانتشر إنشاؤها في شمال إفريقيا خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة، وذلك لحماية البلاد من المهاجمين من البحر، واسم الرباط مشتق من الآية الكريمة:" **يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون**" ومع مرور الزمن أصبح الرباط مجرد مأوى يقيم به المنقطعون للعبادة"[1]

أما عن تخطيط هذه الأربطة فكانت في الغالب مكونة من صحن مستطيل يتوسط البناء المستطيل، وبالجانب القبلي كان يوجد مصلى، أما بقية الجوانب فكانت تحتوي على حجرات أو قاعات يقيم بها المرابطون، وكان للرباط أسوار حجرية ضخمة مزودة بأبراج للمراقبة، وفي الغالب كان الرباط يحتوي على مدخل واحد.

ومن أهم الأربطة الصامدة إلى يومنا هذا رباط سوسة بتونس. و"هو حصن تاريخي يقع في مدينة سوسة التونسية. تم تشييده في الأصل من قبل مؤسس دولة الأغالبة إبراهيم بن الأغلب في القرن الثامن عشر الميلادي، وقد جرى تجديده خلال حكم زيادة الله الأول عام 821 م. تم تسجيل رباط سوسة في قائمة اليونسكو للتراث العالمي في عام 1988، كجزء من مدينة سوسة القديمة"[2].

---

[1] ـ **عطية، عبد الله، الآثار والفنون الإسلامية، ص34.**

[2] ـ **موقع الآثار التونسية على الرابط: https://archiqoo.com/locations/ribat_sousse_ar.php**

4 ـ الخانقاوات:

مفردها (خانقاه) معرّبة عن الفارسية (خانكاه)، وتطلق على المنشآت التي تخصص لإقامة الصوفية، والمنقطعين للعبادة، عرفت هذه المنشآت خلال العصر العثماني باسم التكية، وجمعها تكايا، وتمّ تشييدها في مصر وإيران وآسيا الصغرى، وتخطيطها قريب من تخطيط المدارس، يضاف إليها الضريح أحيانا، وهي موجودة إلى يومنا هذا في مصر وتركيا.

" هذه الخانقاوات ظهرت في القرن الرابع الهجري ووصلت إلى قمة مجدها في القرن السادس، وسميت في بلاد المغرب العربي بالزوايا، وهذا ما جعل ابن بطوطة يطلق على الخانقاوات التي رآها في مصر لفظ الزوايا، إذ يقول في معرض حديثة عن مصر: "وأما الزوايا فكثيرة، وهم يسمونها خوانق، واحدتها خانقة". واستخدم المقريزي مصطلح الزاوية بالمعنى عينه إذ فرق في بغداد بين الخانقاوات والربط والزوايا، وذكر كل نوع في قائمة مستقلة، إلا أنه في تعريفه لكل منها لم يخرج عن معنى واحد هو أنها جميعًا كانت بيت الصوفية ومنزلهم"[1].

يذكر أن أول الخانقاوات خانقاه سعيد السعداء التي أنشأها صلاح الدين الأيوبي سنة 569هـ، وعرفت باسم خانقاه الصالحية، وأوقف لها الأوقاف، ولهذه الخانقاه قصة فهي في الأصل تخص أحد القائمين بالخدمة في عهد الخليفة المستنصر وهو عنبر، إلا أنه قتل وصلب على باب زويلة، وسكنها من بعده الصالح طلائع ثم الوزير شاور، وعندما جاء زمن صلاح الدين الأيوبي بعد انقضاء عهد

[1] ـ **حسن الباشا، مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1981، ص43.**

الفاطميين في مصر جعلها وقفا للصوفية ولقب شيخها بشيخ الشيوخ وأوقف هذه الخانقاه على فقراء الصوفية، ورتب لهم طعاما وبنى لهم حماما في الدار.

ويمكن أن نجمل الفوائد التي قدمتها منشأ الخانقاه إلى الحضارة الإسلامية مما يلي[1]:

1- لقد ساعدت هذه المنشأة على تعليم القرآن الكريم والسنة والعلوم الأخرى لروادها وبالتالي تعميق الفكر الديني.

2- كما ساهمت في تشجيع المتصوفة والدراويش والمحتاجين في اللجوء إليها لتعلم الإسلام ودفع شبح الجوع والعرى عن كثير من طبقات الشعب وهو إسهام في حل المشاكل الاجتماعية.

3- كانت الخانقاه مدرسة يتعلم فيها الناس روح الجهاد في سبيل الله والتضحية في سبيل الدين والوطن وقد شارك نزلاء الخانقاوات في الحروب ضد الفرنج الصليبيين في بلاد الشام.

4- ساهمت الأوقاف الإسلامية التي كانت توقف على الخانقاوات في إنعاش الحياة الاقتصادية في بلاد المسلمين وحل مشاكل اجتماعية كثيرة.

5- أنعشت حركة التصوف وازداد عدد المتصوفين وأغتنت حركة الثقافة الإسلامية عن طريق الندوات والمناقشات والمجادلات التي يعقدها المتصوفة ورجال الدين بالخانقاوات والمدارس.

5 ـ الأضرحة:

تعتبر الأضرحة من المنشآت الدينية التي توارثها المسلمون بنية تخليد ذكر موتاهم من العلماء والوجهاء، وعلى الرغم من أنّ تزيين القبور، والمبالغة في الاهتمام بها مما يتعارض مع القيم الإسلامية إلا أنه بمرور الزمن، وخاصة بعد اعتناق الأتراك الإسلام نقلوا من عاداتهم العناية بالأضرحة، فتأثر بها غيرهم

---

[1] ـ أحمد أبو زيد: عمائر فريدة في الحضارة الإسلامية، مجلة الوعي الإسلامي – العدد 532 – بتاريخ 5 سبتمبر 2010م.

من المسلمين، وتنتشر في مختلف بقاع الأرض هذه البنايات المقامة على القبور، والمغطاة بالحرير، والمحفوظة في حجرة تُزار للدعاء والتبرك، كما هو الحال عندنا في الجزائر في العديد من المناطق التي شيدت بها الأضرحة لرجال العلم والقيادة، وبالغ الناس في تعظيمها واللجوء إليها.

خاتمة:

شواهد التألق الحضاري للأمة الإسلامية كثيرة، في طليعتها المباني الشاهقة التي صمدت على مر العصور، وحفظت للعهود المتعاقبة ميزتها وخصوصيتها بما أودع فيها من تفنن في البناء، والزخرفة، والتنويع بما يفي بحاجيات الحكام والرعية، حيث تأتي في طليعتها العمائر الدينية التي تتصدرها المساجد، وتتبعها المدارس وبيوت الانقطاع للعبادة، وما أحدثه الجاهلون من أضرحة للصالحين خرجوا بها عن صحيح الدين، ولا تزال الصروح الدينية في أمتنا الإسلامية تشيد وتُتعهد بالرعاية لتبقى بدورها شاهدة على ميزة هذه الأمة.

المحاضرة 05: العمارة الإسلامية (2): العمائر المدنية

❖ أهداف المحاضرة

- ✓ ـ توسيع نطاق الاستكشاف من العمائر الدينية إلى العمائر المدنية
- ✓ ـ الوقوف على طبيعة الحياة الإسلامية في مختلف عصورها من خلال الآثار الباقية.
- ✓ ـ تقدير خصوصية المجتمعات المسلمة على ضوء مخلّفاتها الباقية.

❖ عناصر المحاضرة

- ـ مقدمة
- ـ مفهوم العمائر المدنية
- ـ أنواع العمائر المدنية
- تأثير العمارة الإسلامية على الحضارة الغربية
- ـ خاتمة

مقدمة:

تصبّ الحضارة في جانب منها في مفهوم العمران الذي به تتحقق المنافع الحياتية، ويظهر الطابع المميز لكلّ حقبة تاريخية، في جانب مؤسسات الدولة، وعلى صعيد ما يتخذه الناس من المرافق سكنا وتجارة واستضافة عند التنقلات، وقصدا للنظافة والاستجمام، مما يحاط بالضوابط الشرعية، ويُحرص فيه على اللمسات الفنية ذات التعلق بالروح الجمالية، والهدف الحاجي والتحسيني وحتى الترفيهي مما لا يمنعه الشرع الإسلامي ما دام في حدود ما يُقبل عقلا وعُرفا وذوقا، ولا يختلجه الفساد بتوفير أماكن له، وسوف نعرض في هذه المحاضرة جانبا مما اشتهر في الحضارة الإسلامية من العمائر المدنية التي استعملها الناس للاجتماع والانتفاع، مع التذكير بمدى تأثر الغرب بهذه الأنماط العمرانية.

أوّلا: مفهوم العمائر المدنية:

إلى جانب المباني ذات الطابع الديني، تميزت المدن الإسلامية بعمائر أخرى تخدم الناس في معاشهم، وتعتبر من المرافق الضرورية للحياة، وهي العمائر المدنية التي بقي الكثير منها شاهدا على مختلف عصور الحضارة الإسلامية، وشكّل مصدر تاثر وإعجاب لدى الغرب بما طبعه من جمال فني، وإبداع هندسي غطى على الاحتماء بجدرانها ليصل إلى حدّ إثارة الخيال، والتأثير في الوجدان بما اختير له من الوان، وما زيّنه من فسيفساء ونقوش، وما خُصّ به من تخطيط ذي خصوصية إسلامية حضارية.

"ولعلّ من ابرز ما يميّز الأنماط المعمارية الإسلامية أنها تتمحور في بنائها وواجهاتها وهندستها ومرتفقاتها حول وجهة، أو بتعبير أدق نحو القبلة (المسجد الحرام)، أما في الأنماط العمرانية المعاصرة، أو في عمران المدن الحديثة، فلا وجهة ولا قبلة، ويصعب على الإنسان المسلم، وقد يجد عناء شديدا في تحديد القبلة إذا خرج من المسجد وعبر الشارع، ودخل المباني المعاصرة. كما أنّ الطراز افسلامي في العمران كان مفتوحا إلى الأعلى، ليمكن المسلم من النظر إلى السماء، هذه الفسحة السماوية لها مدلولات وإيحاءات في حس المسلم، وتوجهه في الدعاء، أو في التوجه إلى الله لطلب الغوث والخير، حيث الماء مصدر الحياة، والغيث المدرار النازل من السماء مرهون بصلاح الناس واستغفارهم والتجائهم إلى الله، والتظام منهجه في العمران بمعناه الأعم"[1]

[1] ـ عمر عبيد حسنة، من تقديم كتاب تخطيط وعمارة المدن الإسلامية، ص23,

ثانيا: أنواع العمائر المدنية

تتفق العمائر المدنية في غرضها الحمائي الترفيهي وحتى الاستجمامي، وتختلف في أنواعها بين الخاص والعام، "فالحضارة الإسلامية قد استوعبت عمائر إقامة الدين، وعمائر رعاية الدنيا، على اختلاف في أنماطها، ووظائفها، وسائر ما تعلّق بها من الأدوار في حياة الفرد والجماعة"[1] على ما نفصّله في العرض الآتي:

1 ـ دار الإمارة:

" دار الإمارة في المدن الإسلامية التقليدية هي المبنى الذي يحوي السلطة الرئيسية في المدينة ويقوم بدور السلطة التنفيذية والقيادة السياسية والإدارية للمدينة والمناطق التابعة لها سياسيا. لا يشترط في دار الإمارة أن يسكن الأمير أو الحاكم وهو أشبه بمبنى المحافظة في العصر الحديث"[2]. وقد بدأ بناء دور للإمارة في المدن الجديدة منذ صدر الإسلام. حيث تحتوي دار الإمارة على الدوواوين الرئيسية للإمارة وغيرها من أجهزة الحكم.

وتعتبر دار الإمارة من المعالم المهمة في المدن الإسلامية، وتقع غالبا في مواجهة المسجد الجامع، ويحيط بها وبالمسجد غالبا مساكن الجند، وتدرجت دار الإمارة من البساطة إلى الفخامة، وأصبحت قصورا تلحق بها الحدائق للزينة.

---

[1] ـ عمر عبيد حسنة، من تقديم كتاب تخطيط وعمارة المدن الإسلامية، ص29.

[2] ـ شكري عاطف، دار الإمارة في الحضارة الإسلامية، على موقع المعرفة، الرابط: https://www.marefa.org

2 ـ البيوت السكنية:

البيت ملاذ للإنسان منذ قديم الزمان، مع ما يحمله من الخصوصية في العيش، والحماية من الأذى الخارجي، وقد اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيوتا ذات بساطة وأريحية في الوقت نفسه، ونقف ما ما قاله (ابن القيم) في هذا الشأن:" لما علم صلى الله عليه وسلم أنه على ظهر سير، وأنّ الدنيا مرحلة مسافر ينزل فيها مدة عمره، ثم ينتقل عنها إلى الآخرة، لم يكن من هديه ولا هدي أصحابه ومن تبعه الاعتناء بالمساكن وتشييدها، وتعليتها وزخرفتها وتوسيعها، بل كانت من أحسن منازل المسافر، تقي الحرّ والبرد، وتستر عن العيون، وتمنع من ولوج الدواب، ولا يُخاف سقوطها لفرط ثقلها، ولا تعشش فيها الهوام لسعتها، ولا تعتور عليها الأهوية والرياح المؤذية لارتفاعها، وليست تحت الأرض فتؤذي ساكنها، ولا في غاية الارتفاع عليه، بل وسط، وتلك أعدل المساكن وأنفعها، وأقلّها حرا وبردا، ولا تضيق عن ساكنها فينحصر، ولا تفضل عنه بغير منفعة ولا فائدة فتأوي الهوام في خلوها، ولم يكن فيها كنف فتؤذي ساكنها برائحتها، بل رائحتها من أطيب الروائح، لأنه كان يحب الطيب، ولا يزال عنده، وريحه هو من أطيب الرائحة، .. ولا ريب أنّ هذه من أعدل المساكن وانفعها، واوفقها للبدن، وحفظ صحته"[1] وهو وصف يفصّل معنى البساطة، والخصوصية، والتوافق مع البيئة.

3-الأسواق:

[1] ـ ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، 238/4.

تجاور الأسواق المساجد، وتبتعد عن السكنات رعاية لحرمتها، وعرفت الأسواق بالتخصص في البضاعة، ففصلت اسواق النحاسين، والعطارين، والصاغة وغيرها، فهي تجمع بين وظائف التجارة وممارسة الحرف على سبيل التكسّب مقابل الخدمات والمنافع. "وكانت هيئة السوق في المدن الإسلامية المبكرة بسيطة، فكانت عبارة عن مساحة فضاء بجوار المسجد، يعرض فيها كلّ تاجر بضاعته وسلعه على الأرض، وفي المكان الذي يصل إليه قربا أو بعدا عن المسجد، لأنها منطقة خالية من المباني، فلم تكن الخلافة في هذا الوقت المبكر تسمح بإقامة اية مبانٍ في هذه المساحة الفضاء، ولا أن يحتكر النزول في مكان محدد منها تاجر معين، ولكن المنطقة كلها مفتوحة امام جميع التجار، كلّ حسب جهده وأسبقية وصوله إلى الموضع الذي يريد.."[1]

4 الخانات:

الخان منشأة تجارية كانت تشيد من أجل توفير أماكن ملائمة للتجار والقوافل التجارية، حيث يقيمون فيها أثناء سفرهم، وانتقالهم ببضائعهم ودوابهم عبر المسافات الطويلة[2]، وتعتبر الخانات من مظاهر الازدهار الاقتصادي، ويتكون الخان في الغالب من صحن مكشوف مستطيل أو مربع، يحيط به مجموعة من الحواصل في الطابق الأول، ويعلو ذلك مجموعة من الحجرات لإقامة التجار، كما تخصص بها أماكن للدواب التي ترافق التجار، وتغلق الخانات بأبواب ضخمة محروسة.

---

[1] ـ **خالد عزب، تخطيط وعمارة المدن الإسلامية، ص68.**

[2] ـ **أحمد أبو زيد: عمائر فريدة في الحضارة الإسلامية، مجلة الوعي الإسلامي – العدد 532 – بتاريخ 5 سبتمبر 2010م.**

5 ـ الحمامات العامة:

ظهرت الحمامات على سبيل تقليد التمدن في الحضارات الأخرى، ولكنها أخذت ضوابط شرعية في ظل المدن الإسلامية التي شيدت فيها، فأزيلت منها الصور والتماثيل، وأقرت فيها الآداب الشرعية، والوقاية الصحية بمنع دخول ذوي الأمراض المعدية. "وللحمام أهمية كبرى في الحياة الاجتماعية في المدن الإسلامية، فقد عُدّ من المرافق الحيوية بها، وفضلا عن فوائد الحمام الصحية والترفيهية، فقد كان للحمام غرضه الديني، ومن ثمّ فقد خضعت الحمامات لإشراف المحتسب الذي كان يتفقد الحمامات مرارا في اليوم، ويأمر أصحابها بإصلاحها، ونضح مائها، وبغسل الحمام وكنسه وتنزيفه بالماء الطاهر، وأن يفعلوا ذلك مرارا في اليوم"[1]

وقد شيدت الحمامات على نمط يحول دون التسبب في تعرض مستعمليها للأمراض من جهة الحرص على النظافة، ومن جهة التدرج في التبريد والتسخين عبر غرف منها الساخنة المرخية، والساخنة المجففة، والمبردة الرطبة[2].

ثالثا: تأثير العمارة الإسلامية على الحضارة الغربية:

لا ننفي استلهام الحضارة الإسلامية بعض ثمرات الحضارات السابقة عنها، ولكننا نثبت لها الإبداع، والبصمة المتميزة، ومراعاة الخصوصية بدل التقليد الأعمى، وكما استفاد المسلمون من غيرهم

---

[1] ـ خالد عزب، تخطيط وعمارة المدن الإسلامية، ص110.

[2] ـ يُنظر: أحمد أبو زيد: عمائر فريدة في الحضارة الإسلامية، مجلة الوعي الإسلامي – العدد 532 – بتاريخ 5 سبتمبر 2010م.

فقد استفاد الغرب من المستوى الذي وصلت إليه الحضارة الإسلامية في عمرانها وجمالياتها عبر الدول المتعاقبة، وخاصة في ظل الخلافة العثمانية التي امتدّ سلطانها على مساحة شاسعة من أوربا والعالم، وقد تجلى هذا التأثر في الآتي:

ـ اقتباس الصليبيين الحصون وأساليب بنائها من الشام، وخاصة الممرّات الداخلية الملتوية.

ـ تأثر النورمان في صقلية بالعمارة الإسلامية في أعمدتها وأقواسها ومقرنصاتها.

ـ اقتباس أبراج النواقيس في جنوب إيطاليا من المآذن المغربية.

ـ تأثر الجنوب الفرنسي بالزخارف المشتقة من الكتابة العربية والزخارف المحفورة. وفي إنجلترا اقتبسوا الأرابيسك وزخرفوا به عمائرهم، وقلّد الإيرلنديون الكتابة الكوفية، ويبدو ذلك في كليب كتب عليه (باسم الله) دون إدراك منهم للمعنى وهو محفوظ في المتحف البريطاني.

ـ ولا يخفى تأثر الإيطاليين بصناعة النسيج الإسلامية، وتقليدهم للفنون والزخارف العربية لقرون.[1]

خاتمة:

عكست العمائر الإسلامية دينية كانت أم مدنية خصوصية الانتماء، وجوهر الجمال في الإبداع الإسلامي، وخاصة فيما اعتبر من العمائر المدنية المعدّة للسياسة أو السكنى أو المنفعة الجماعية، ومثّلت علامة بارزة في الدقة التصميمية، والنواحي الجمالية، غير أنّ زحف العولمة المعاصرة قد اتجه بالدول افسلامية إلى نمط معماري لا روح ولا حياة فيه، ميختلف تماما عن الاثار العاكسة للحقب الزمنية المتنوعة، مع فوضى عمرانية واضحة لا تراعى فيها الجوانب الأخلاقية، ولا الذوقية.

[1] **ـ السراج، أحمد، العمارة الإسلامية: خصائص وآثار، ص26.**

المحاضرة 06: جامع الجزائر الأعظم الإنجاز الحضاري البديع

❖ أهداف المحاضرة:

- ✓ ـ لفت انتباه الطلبة إلى الصرح الذي تميزت به الجزائر وسيبقى أثرا خالدا للأجيال.
- ✓ ـ تقديم نموذج تطبيقي للعمران الإسلامي الحديث.
- ✓ ـ تشجيع الطلبة على زيارة المسجد الأعظم والاطلاع عن قرب على ما جاء في المحاضرة.

❖ عناصر المحاضرة:

- ـ مقدمة (مع بث مصور مساعد للتعريف بالمسجد)
- ـ بطاقة تقنية للمسجد
- ـ رمزية المكان
- ـ هياكل المسجد
- ـ خاتمة

مقدمة:

تألقت الجزائر في السنوات الأخيرة بالصرح الديني العظيم الذي شيّدته، والذي احتلّ مكانا متميزا في إطلالة بديعة على خليجها، مع رتبة ثالثة عالميا كأكبر مسجد بعد الحرمين، ويقع جامع الجزائر بموقع استراتيجي في قلب خليج مدينة الجزائر العاصمة، أكبر المدن الجزائرية وعاصمة البلاد. يطل على البحر الأبيض المتوسط من الضاحية الشمالية، وبمحاذاة وادي الحراش من الضاحية الغربية، على بعد 10 كم إلى الشرق من وسط المدينة القديم، ويبعد عن مطار الجزائر الدولي بـ11 كم[1].

أوّلا: بطاقة تقنية للمسجد

تمّ افتتاح القاعة الرئيسية بجامع الجزائر مساء الأربعاء 28 أكتوبر 2020، بمناسبة الاحتفال بذكرى المولد النبوي وأقيمت فيه أول صلاة جماعية تمثلت في صلاة المغرب وصلاة العشاء، وسط حضور رسمي، و يستمد تصميم المسجد الذي فاز بعد تدشينه بالجائزة السنوية لمتحف «شيكاغو أثينيوم» للهندسة المعمارية، عناصره من المعمار الإسلامي بشكله الهندسي الذي يظهر في خطوطه المستقيمة وزواياه القائمة، وهو يمثل وفق بعض المعماريين، امتدادا بلمسات عصرية للبناية الأندلسية. ويضم هذا الصرح الممتد على 300 ألف متر مربع، وفق ما تشير بطاقته الفنية، 12 بناية متواصلة ومتكاملة، منها قاعة صلاة تتسع لأكثر من 120 ألف مصل، وقاعة كبرى للمؤتمرات، ومركز ثقافي إسلامي، ومكتبة عامرة، إضافة إلى فندق لاستقبال الضيوف، ومرافق أخرى خصصت لاحتضان المؤسسات التابعة للمسجد.

[1] ـ معلومات الجامع الأعظم متوفرة على مستوى الهيئة الإعلامية المشرفة عليه، إلى جانب ما تناقلته الصحف =من تقارير حوله.

ثانيا: رمزية المكان

المكان الذي بني عليه المسجد ذو رمزية عميقة للشعب الجزائري، فقد اتخذه أحد عتاة المنصرين لافيجري، مقرا لكنيسته في فترة الاستعمار، بينما يزوره الرئيس الفرنسي اليوم وقد تحول في الجزائر المستقلة لثالث أكبر مسجد في العالم بعد الحرمين.

كما أن المكان الذي بني فيه يحمل رمزية كبيرة جدا، على اعتبار أن «المحمدية" كانت بؤرة تنصيرية استغلها الكاردينال الفرنسي لافيجري في التأسيس لمدرسة تكوين الرهبان والراهبات بغرض تنصير الجزائريين مقابل مقايضتهم برغيف الخبز، وكذا بعث الإرساليات نحو أفريقيا لنفس الغرض، لهذا يكتسب مسجد الجزائر قوة ورمزية إيحائية كبيرة جدا لا يمكن القفز فوقها عند الحديث عن المكان».

ولم يأت شحن المسجد بكلّ هذه الرمزية اعتباطا، حيث إنّ التفكير في تشييد هذه المؤسسة يعود إلى عهد الرئيس الراحل (هواري بومدين) مع وزيره المقرّب (مولود قاسم نايت بلقاسم) الذي كان يشغل منصب وزير الشؤون الدينية والتعليم الأصلي، ففي حديث جرى بينهما، وفق ما يروي مقربون شهود، قال بومدين وهو خريج الأزهر، لتونس الزيتونة وللمغرب القرويين ولمصر الأزهر وماذا للجزائر؟ فنتج عن هذا القلق الديني والحضاري، جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة. ثم جاء الرئيس الراحل (عبد العزيز بوتفليقة) وقرر بناء جامع الجزائر في منطقة اختارها بعناية.

وعليه فتجسيد جامع الجزائر على أرض الواقع هو امتداد لفكرة بومدين، «من أجل ترسيم مفهوم المرجعية الدينية الوطنية التي حوربت وضربت في الصميم من تيارات ومذاهب ومدارس أجنبية لا علاقة لها بتراثنا الديني والحضاري بل تسببت في كثير من الفتن والصدامات التي هددت الأمن والانسجام الاجتماعي والوحدة الوطنية.

ثالثا: هياكل المسجد

يبرز المسجد الأعظم بهياكل فريدة من نوعها وضعت خصيصا على النمط المغاربي بزخارف بديعة، ومقاييس عمرانية دقيقة أشرف عليها متخصصون جزائريون لتعكس روح الانتماء وعمق الأصالة، وأبرزها:

1 ـ المئذنة:

أبدعُ ما في المسجد، فمئذنته التي يفوق علوها 265 مترا وتتشكل من 43 طابقا، منها 15 طابقا تحتضن متحفا حول تاريخ الجزائر وطوابق أخرى تحتضن مركزا للبحوث والدراسات الإسلامية، بينما يوجد في القمة منظار يشد الأبصار نحو خليج العاصمة ومعمارها. ويستعمله السياح حتى لرؤية أبعد نحو الجنوب الأوربي على ما هو الحال في هضبة لالا ستي في أعالي تلمسان.

2 ـ القبة:

يحتوي جامع الجزائر على قبة يبلغ قطرها 50 مترا، وهي تتوسّط قاعة الصلاة التي تمازج فيها الجانب الوظيفي والجمالي، فهي مكونة من غلاف داخلي وخارجي، فمن الداخل هي قراءة عصرية لقبة

«المقرنصات» التقليدية المستمدة من المعمار الإسلامي خاصة في عهد المرابطين، تسمح بتعاقب المساحات المسطحة والدائرية، ومن الخارج غلّفت قبّته بمصفقات مشربية تزيينية تبرز الوجه الداخلي للقبة وفق الهندسة التقليدية، وحسب مجسّم جامع الجزائر، فقد توّجت قاعة الصلاة «المزيّنة بالرخام والحجر الطبيعي» بقبّة عظيمة ذات جدارين يحتويان على فتحات تسمح بمرور الضوء الطبيعي إلى القاعة كما تضيء بأنوارها ليلا، سيبلغ ارتفاع المسجد بعد انتهاء بناء القبة حوالي 45م.

3 ـ المحراب:

يتشكل محراب جامع الجزائر من مقطع متعدد الأضلاع تعلوه قبيبة صغيرة فائقة الجمال ترتكز على قاعدة مربعة الشكل ويتوسطه قوس يعيدنا إلى فن العمارة المرابطية، وبصفة خاصة محراب الجامع الكبير لمدينة تلمسان الذي يعد من المحاريب المرابطية القليلة التي صمدت أمام عوامل الزمن وبقيت شاهدة على تلك الحقبة الزاخرة إلى وقتنا الراهن تماما كما هو الحال بالنسبة لمحراب الجامع الكبير بالجزائر العاصمة، وقد تم تصنيع وزخرفة هذا المحراب محليا في ولاية المدية بتفنن بديع.

خاتمة

جامع الجزائر الأعظم تحفة فنية بامتياز، والمأمول من هذا الجامع أن يكون بزخم روحي إسلامي وفكري يليق بالأمة الجزائرية وبحجمها وبقيمتها العقدية والرسالية المتعالية، ليبرز جيدا مرجعيتها الدينية وموروثها الثقافي والتاريخي المتميز، وأن يساهم في ضخ القيم الإسلامية الصحيحة التي تعكس روح

الإسلام الوسطي الخالي من أي تشدد، وترسيخ الهوية والشخصية الجزائرية التي نافح عنها العلامة ابن باديس والشيخ الابراهيمي وغيرهما من علماء الجزائر الأجلاء قديما وحديثا، من خلال قيام هذا المسجد بأدواره الدينية والمجتمعية والتربوية والإصلاحية الكاملة. ويؤكد المتحدث أن المسجد في الجزائر «كان دائما مدرسة ومشفى روحيا ومنبرا فكريا دينيا، ومكانا لتكوين العلماء والقادة والمؤثرين الإيجابيين داخل المجتمع الإسلامي، فهو الفضاء حيث يُبنى الإنسان المسلم الحقيقي المنخرط في الحركية التاريخية والحضارية التي يشهدها العالم.

المحور الثاني: الفنون الإسلامية

تمهيد

استُعملت كلمة "فن" على المعنى الذي ندرسه حديثا في اللغة العربية، معوّة كلمة "صناعة" التي اشتهرت قديما، حيث كانوا يقولون "صناعة الأدب"، و"صناعة الشعر"، وأكّد (ابن خلدون) هذا الاستعمال حينما تكلّم عن الصنائع، وعدّد منها صناعة البناء، والتزيين، والغناء..[1]، وهو الصل الذي دلّت عليه المعاني المعجمية للفظ، حيث جاء في "القاموس المحيط":

الصناعة حرفة الصانع، وعمله الصنعة

ورجل صِنع اليدين، وصَنيع اليدين: حاذق في الصنعة.

ورجل صَنع اللسان، ولسان صَنَع: يقال للشاعر ولكلّ بليغ

وامرأة صِناع اليدين: حاذقة ماهرة"[2]

وقد اشتملت الكلمة بذلك على معاني: الحذق، والمهارة، والدقة، سواء أكان ذلك في عمل اليد، أم في عمل اللسان، كما تضمّنت معنى التزيين.. وكلّ ذلك استوعبه، ودلّ عليه لفظ "الفنّ"

الفنّ في اللغة:

الفن لغة الضرب واللون من الشيء، والجمع افنان وفنون، قال العقاد:" إنّ الفن في اصل اللغة هو الخط واللون، ومنه التفنين، بمعنى التزيين والتزويق، والأفانين بمعنى الفروع أو الضروب، وهكذا كلّ ما تعدّد فيه الأشكال والأوصاف مما يُنظر بالأعين أو يُدرك بالأفكار. والفنان بمعنة الكثير الفنون، أو الكثير التزيين، لأنّ العرب تقول: فنّ الشيء، أي زيّنه، فهو فان وفنان. واستعمال كلمة الفني دلالة

---

[1] ـ مقدمة ابن خلدون، ص405ـ 408.

[2] ـ القاموس المحيط، مادة ف ن ن

على المصوّر والشاعر والمنشد، لم يرد بهذا المعنى في كلام عربي قبل العصر الحديث، ولا خطأ، ولا تجوّز في استعمال (الفنان) لمعناها الحديث لأنها صحيحة في القياس"[1]

أما عن المعنى الحديث للفظة فنأخذه من المعجم الوسيط الذي جاء فيه:" الفن: جملة القواعد الخاصة بحرفة أو صناعة. وجملة الوسائل التي يستعملها الإنسان لإثارة المشاعر والعواطف، وبخاصة عاطفة الجمال كالتصوير والموسيقى والشعر، وهو مهارة يحكمها الذوق والمواهب. والفنان صاحب الموهبة الفنية كالشاعر والكاتب والموسيقي، والمصوّر والممثّل"

واتّسعت الكلمة لمعاني عدّة تحوم حول الدقة والجمال، خاصة وأنها صارت تنعت بالفنون الجميلة، ومن ذلك ما جاء في معجم المنجد:"

الفنون الجميلة هي ما كان موضوعها تمثيل الجمال، كالموسيقى والتصوير، والشعر والبلاغة، والنحت، وفن البناء، والرقص.

والفنون اللذيذة: هي التي يشعر مزاولها بلذة عند مزاولته إياها كالرقص والموسيقى والغناء وركوب الخيل.

الفنون الحرة: هي ما كان فيها عمل الفكر أكثر من عمل اليد كالشعر.

الفنون اليدوية أو الجبلّية: هي ما كان عمل اليد فيها أكثر من عمل العقل كالنحت"[2]

---

[1] **ـ العقاد، عباس محمود، ساعات بين الكتب، ص340.**

[2] **ـ المنجد في اللغة، لويس معلوف، المطبعة الكاثوليكية، بيروت،ط19. ص596.**

المحاضرة 07: مفهوم الفن الإسلامي ومميزات طُرزه

❖ أهداف المحاضرة:

- ✓ ـ تعريف الطالب بمفهوم الفن الإسلامي
- ✓ ـ تقديم تدقيق مصطلحي للفن الإسلامي
- ✓ ـ عرض أنواع الفن الإسلامي من خلال نماذجها الشاهدة

❖ عناصر المحاضرة:

- ـ مقدمة:
- ـ تسميات الفن الإسلامي
- ـ خصائص الفن الإسلامي
- ـ الطرز الفنية الإسلامية.
- خاتمة

مقـــدمة:

يُطلق تعبير الفن الإسلامي على الإنتاج الفني الذي أبدعه المسلمون منذ الهجرة إلى المدينة حتى القرن التاسع عشر في منطقة شاسعة من أراضي الإسلام عبر حقب زمنية متعاقبة تحت راية الخلافة الإسلامية واستمرارا لها. ويثور الجدل حول مفهوم هذا الفن وحدوده، من حيث درجة التعبير عن الانتساب إلى الإسلام، وضوابط الإبداع الخاضعة للأحكام الشرعية.

وقبل عرض المفهوم ننطلق أوّلا من التسميات التي تُطلق على هذا الفن في المؤلفات العالمية:

أولا: تسميات الفن الإسلامي:

لم يستقرّ دارسو الفن الإسلامي من المستشرقين على تسمية واحدة له، فذهبت بهم أهواؤهم مذاهب شتى تدلّ على الانتقاص والتهوين، وأطلقوا عليه تسميات منها[1]:

- ✓ **فن المسلمين والعرب:** وهي تسمية تحمل في ثناياها التهوين من شأنه، والتضييق على نطاقه، ففي الفكر الغربي يرتبط المفهوم عن العرب والمسلمين بالتخلف، كما يوحي حصره في العرب بتضييق نطاق انتشاره وحصره في عرق واحد.
- ✓ **الفن المحمدي:** وهو اسم لا يتفق مع طبيعة الفن الإسلامي، لأنه ينسبه إلى شخص الرسول صلى الله عليه وسلم، ويوغل به في الدينية ليجرّده من أبعاده المعاشية الدنيوية.
- ✓ **الفن الشرقي:** وهي تسمية تحمل مغالطة وحصرا لنطاق هذا الفن، فهو فن لم يقم على أكتاف المشارقة فقط، بل ساهم فيه مسلمو الشرق والغرب، ولا يزالون، وكما أبدع أهل المشرق والجزيرة العربية فيه، فلا يخفى ما أبدعه مسلمو المغرب والأندلس، وما طبعوه به من صبغة خاصة.
- ✓ **الفن العربي:** وهي بدورها تسمية قاصرة عنصرية، فالإسلام دين عالمي، اعتنقته شعوب العالم وأبدعت في ظله، وليس العربي فقط من يحمل هذا الفن ويدفعه إلى الأمام، بل كل ذي انتماء للإسلام مهما كان عرقه وأصله، فلا يمكن بحال إنكار فضل الفرس والأتراك فيه.

والأرجح بين هذا وذاك هو اعتباره فنا إسلاميا ينضبط بضوابط الدين، ويمتد عبر الزمان والمكان بإبداع المنتمين إليه.

---

[1] **ـ عطية، عبد الله، الآثار والفنون الإسلامية، ص65.**

وعليه، يكون مفهوم الفن الإسلامي: **"فن الشعوب الإسلامية الشامل لما أبدعه المسلمون عبر عصورهم المتعاقبة في مختلف بقاع الأرض، ويتجلى ماديا في النقوش والزخارف والمنحوتات متوسعا إلى الأداء الصوتي والتمثيلي"**[1].

وقد ميّز الدكتور (محمد قطب) الفنّ الإسلامي باعتباره إبداعا للمسلمين نلمسه ونسمعه، عن مجرد كونه ما يتحدث عن الإسلام حصرا، فقال:" والفن الإسلامي ليس بالضرورة هو الفن الذي يتحدّث عن الإسلام، إنما هو الفن الذي يرسم صورة الوجود من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود. هو التعبير الجميل عن الحياة والكون والإنسان، من خلال تصوّر الإسلام للكون والحياة والإنسان. هو الفن الذي يهيء اللقاء الكامل بين الجمال والحق، فالجمال حقيقة في هذا الكون، وتالحق هو ذروة الجمال، ومن هنا يلتقيان في القمة التي تلتقي عندها كلّ حقائق الوجود"[2]

ثانيا:خصائص الفن الإسلامي:

للفن الإسلامي خصائص تميّزه عن غيره من الفنون، نقف من خلالها على سماته الأساسية، وصوره النقية المشرقة، وهي:

1ـ الانطلاق من عقيدة التوحيد التي تصنع تصوّرا شاملا للكون والإنسان والحياة

2 ـ **الإتقان:** وهو خلق إسلامي يطبع الإبداع، فيخرجه على أحسن صورة، وبمنتهى الدقة والحرص

3 ـ **الاستمتاع بالحياة في إطار ضوابط الشرع الإسلامي:** فلا يخرج الفنان المسلم بفنه عن الذوق الأصيل، ولا يتمادى فيه بما يمنعه الدين ويحرّمه، فلا يحاكي غيره من فناني الأمم في تصوير المغيّبات، وتجسيم المعتقدات على غرار ما يجسده الفنانون المسيحيون في عمائرهم الدينية من تماثيل يزعمون أنها لمريم العذراء وعيسى عليه السلام، ويبتعد في فنه الصوتي عن المعازف المحرمة، والكلام الفاحش، كما ينأى في فنون الرسم عن الصور الآدمية والحيوانية، ويستعيض عنها بالزخارف النباتية والهندسية والخطوط العربية.

---

[1] **ـ عطية، عبد الله، المرجع السابق، ص76.**

[2] **ـ محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، ص6.**

4 ـ **التجريد**: إيمانا بقدرة الله الخالق، وتفرده بالخلق، اتجه الفنان المسلم إلى المجرد، ولم يقم بمحاكاة المخلوقات، ولا الغيبيات، بل اعتمد على القوانين الرياضية في إبداع الأشكال الهندسية واتخاذها مادة جمالية، يملأ بها الفراغ، ويمتع النظر بما يبدع فيها من ألوان الريشة، وعذب الكلام.

5 ـ**الفن في التصور الإسلامي وسيلة لا غاية، والوسيلة تشرف بشرف الغاية التي تؤدي إليها، ولذا فليس الفن للفن، وإنما الفن في خدمة الحق والفضيلة والعدالة، وفي سبيل الخير والجمال..**[1]

وفي النتيجة نجد أن وحدة العقيدة ساعدت على صهر فنون مختلف الاقطار في بوتقة واحدة، حيث أسهمت فنون غير عربية بشكل كبير في الحضارة والفن الإسلامي مثل الفرس، والأتراك، والهنود، والأقباط، غير أن اللمسة الإسلامية قد طغت عليها فيما بعد، وجعلتها كلها من فنون الإسلام بعد تطهيرها من المظاهر والعناصر التي لا تليق به.

ثالثا: الطرز الفنية الإسلامية

نظرا لاتساع رقعة العالم الإسلامي، وتعدّد أعراق شعوبه، وثقافاتهم، فقد تميّز الفنّ الإسلامي بتعدّد طرزه، وتنوعها، بداية بالعصر الأموي، وإلى غاية العصر العثماني الذي أفلت بأفوله شمس الخلافة، ودخل المسلمون بعده في غياهب الاستعمار، والتبعية، والخضوع للغرب تقليدا وذوبانا في تفاصيل ثقافته.

والطراز كلمة مشتقة من الكلمة اللاتينية stylus وتعني الطريقة والأسلوب والنمط والزينة التي تتميز بها العمائر في عصر معيّن[2]، حيث تحيلنا على خصوصية كلّ عصر، وتعطينا صورة عن التطوّر الذي حدث من حضارة إلى أخرى. وعليه يكون تعريف الطراز بأنه:"تجميع للتكوينات التي استعملت بشكل متكرّر في مجموعة من المباني لفترة تاريخية واحدة"[3] حيث يعطيها التكرار شخصيتها المتميزة.

---

[1] ـ **يُنظر: الشامي، صالح أحمد، الفن الإسلامي التزام وابتداع، ص98.**

[2] ـ **المنجد في اللغة، لويس معلوف، ص342.**

[3] ـ **تاريخ العمارة عبر العصور، ص17.**

ومع ذلك فإنّ الطرز تتأثر ببعضها، وتأخذ من بعضها على نحو يُبنى فيه على السابق، ويضاف عليه الإبداع.

وإنّ أبرز الطرز الفنية الإسلامية الدالة على عصورها هي:

الطراز الأموي:

لخص هذا الطراز بداية الاحتكاك الإسلامي بالفنون، وانتشر على رقعة واسعة من العالم بفعل الفتوحات، ويتضح التأثير البيزنطي جليا فيه من خلال بعض الرسومات والفسيفساء والألوان، وخاصة في بقايا العمائر الأموية في دمشق، والقدس، وبادية الشام.

وتُعد قبة الصخرة التي أمر عبد الملك بن مروان ببنائها في القدس بلا شك واحدة من أهم المباني الشاهدة على العصر الأموي، وطرازه المعماري إلى جانب الجامع الأموي بدمشق، وكلاهما لا يزال صامدا إلى أيامنا هذه، حاملا خصوصية المعمار والزخرفة الأموية.

و"لم يخترع الفنانون والحرفيون الأمويين مفردات جديدة ولكنهم استخدموا مفردات العصور القديمة من البحر المتوسط وإيران، هذه المفردات تتكيّف مع تصميمهم الفني. كما حدث في مسجد بني أمية الكبير بدمشق، فإنهم قاموا باستبدال العناصر التصويرية بالفسيفساء البيزنطية"[1].

[1] ـ **الرفاعي، أنور، تاريخ الفن عند العرب والمسلمين، دار الفكر، ط2، ص42.**

الطراز العباسي:

ظهر في ظل الدولة العباسية بعد انتقال عاصمة الحكم من دمشق إلى بغداد، وكان للفرس تأثير كبير فيه، حيث "عكست العمائر العباسية لمسة الفنان الساساني، وزاد العباسيون على ما وصلهم بأن أبدعوا تشكيل الفخار وزخرفته، وتفننوا في الأثاث والملبوسات المطرّزة"[1]، وفي الجانب الآخر امتزجت الصورة الشعرية بالفنون الفارسية وحتى الألفاظ لتزداد القصيدة العباسية تألقا، وتميزا، بعد كسرها للقالب القديم.

" وكان أهم مظاهر هذا الطراز استخدام الآجر والجص في العمائر عوضاً عن الحجر الذي كانت تشيد به العمائر بالشام، وأثّرت النظم المعمارية القديمة في عمارة المساجد في القرن الرابع الهجري، فكانت الجوامع الكبيرة ذات أعمدة أو دعائم تحمل السقف مباشرة بدون عقود في بعض الأحيان، وكانت هناك مساجد ذات أعمدة خشبية"[2].

الطراز الأندلسي:

عكس هذا الطراز البيئة الأندلسية الراقية، وتميّز بالميل إلى التناغم مع الطبيعة رسما، ونقشا، وأداء، فظهرت الفسيفساء الباهية الألوان، والرسومات التجريدية للطبيعة ومظاهرها الخلابة، وساد فنّ

---

[1] **ـ الرفاعي، أنور، تاريخ الفن عند العرب والمسلمين، ص55.**

[2] **ـ زكي محمد حسن، في الفنون الإسلامية، مؤسسة هنداوي، ص67,**

الموشحات الذي اختص بالمنطقة وعكس حضارتها وتناول مظاهرها بالإشادة والمديح. "ولعلّ أبرز عنوان لهذا الطراز هو الجمال في أجلى صوره، في اللون، والزخرف، والعمران، والتناغم البديع بين إيحاء اتلطبيعة وإبداع الإنسان"[1]

الطراز السلجوقي:

يعتبر من أهمّ الطرز الفنية الإسلامية التي قامت في المشرق وامتدّ تأثيرها إلى العالم الإسلامي، وكان طرازا دوليا حيث تمكّن السلاجقة من السيطرة على أماكن وأقاليم شاسعة شملت إيران وأفغانستان والعراق وبلاد الشام، وآسيا الصغرى، وينسب هذا الطراز إلى الدولة السلجوقية التي تركت بصمتها في الحضارة الإسلامية، وتتميز العمارة السلجوقية بضخامتها واتساعها، وارتفاع الواجهات والمداخل التذكارية الضخمة، واستخدام الزخارف الحجرية البارزة، مع تغطية وتزيين الجدران بالبلاطات، وكذلك الفسيفساء الخزفية في تكسية واجهات الإيوانات والمحاريب[2].

وقد برع السلاجقة في استخدام الحجر بأنواعه، واشتهروا باستعمال الآجر (الطوب المحروق)، والترصيع بالأحجار الكريمة، وزادوا على الزخارف النباتية والهندسية تصوير الآدميين، وقد شيدوا مختلف أنواع العمائر كالمساجد، والمدارس، والخانات، والقصور، والأضرحة والقلاع مما بقي صامدا إلى يومنا هذا في مناطق عديدة وخاصة في الأناضول.

الطراز العثماني:

[1] ـ الشامي، صالح أحمد، الفن الإسلامي التزام وابتداع، ص98.

[2] ـ يُنظر: عبد الله عطية، الآثار والفنون الإسلامية، ص32 وما بعدها.

قام هذا الطراز على كواهل الأتراك، واكتسب صفة دولية بالنظر إلى اتساع الدولة العثمانية في آسيا الصغرى وأوربا، وبلاد الشام والعراق وشمال إفريقيا، ويعتبر أطول الطرز الفنية عمرا، حيث عمّرت الدولة العثمانية نحو ستة قرون، وكان الطراز العثماني متأثرا بالشعوب التي دخلت تحت السلطة العثمانية، ومؤثرا فيها، حيث استفاد من الأساليب الفنية السابقة عنه، وطورها، وأبدع فيها، حيث تميز بأسلوبه الخاص، الذي تطبعه الحيوية والتجديد المستمر.

وغلب على الدولة العثمانية التصوف فانعكس على طبيعة المعمار، والتوجه نحو المدائح الدينية، مع الاهتمام الخاص بالطرق الصوفية وشيوخها وأضرحتهم.

ومع هذا التنوّع في الطُرز والإبداعات الفنية عبر العصور المتلاحقة تبقى هناك وحدة فنية جامعة تميّز ما كان إسلاميا عن سائر فنون الحضارات والأمم، "فجميع مخلّفات العصور الإسلامية تدلّ على أنها تنتمي إلى وحدة فنية تجمع بينها، رغم ما فيها من تنوّع في الأساليب الزخرفية التي ازدهرت في شتى بلاد العالم الإسلامي، فلكلّ بلد أسلوب زخرفي خاص به، يميزه عن غيره، ولكن ضمن وحدة الزخرفة الإسلامية كإطار عام يختلف عن الأساليب الأخرى الصينية أوالهندية أو الأوربية مثلا"[1]، وإنما تعكس هذه الوحدة التزام الفنان المسلم الذي ابتعد عن المحرّمات، وأقبل على الفن النقي المحاكي للطبيعة، والمستفيد من بديع تشكيلات الخط والأشكال الهندسية، دون انتهاك للمحرّمات، ولا تجسيد للمغيّبات.

خـــــــاتمة:

نشأ الفن الإسلامي مع ظهور الإسلام، مستفيدا من الفنون السائدة قبله، ومهذبا لها بما يتماشى مع مبادئ هذا الدين، فألغى ما كان في الجاهلية من صناعة التماثيل، والغناء الماجن، واللهو العابث، وأعطى للروح فسحة مباحة في فنون القول، والصنعة، وما ذلك إلاّ التزاما بهدي القرآن الكريم الذي أرسى من المبادئ ما يؤسس لفن أصيل نقي.

---

[1] **ـ الرفاعي، أنور، تاريخ الفن عند العرب والمسلمين، ص156.**

المحاضرة 08: فن الزخرفة

❖ أهداف المحاضرة:

- ✓ ـ التعرف على فن الزخرفة الإسلامي
- ـ تمييز عناصر الزخرفة الإسلامية
- ـ تحديد مبادئ فن الزخرفة
- ـ التنبيه إلى الجانب الجمالي في الزخرفة الإسلامية

❖ عناصر المحاضرة:

- مقدمة
- مفهوم الزخرفة
- مراحل تطور الزخرفة الإسلامية
- عناصر الزخرفة الإسلامية
- خاتمة

مقدمة:

تميّزت الحضارة الإسلامية بالتمسك بالثوابت، ومواكبة العصور، بحثا عن النفع، وتذوّقا للجمال في إطار الضوابط الشرعية التي تحفظها من الانفلات وتجاوز المحظورات، في سائر أحوال الفرد والمجتمع، بما فيها الصنائع التي تمارس في مختلف أشكالها العمرانية والنسيجية والنحتية والزخرفية الناشرة للجمال الذي يبهج العيون، ويريح النفوس، ويكاد فن الزخرفة لا ينفك عن سائر الإبداعات العمرانية والفخارية والنسيجية رسما ونقشا وتلوينا وطرزا وتطعيما بالأحجار الكريمة، مع خصوصية عقدية أخلاقية حيث نأى الفنان المسلم عن محاكاة خلق الله تعالى مما تميزت به فنون النحت والرسم من تجسيد البشر والحيوانات وحتى أشخاص الأنبياء والملائكة، فحصر فنه في دائرة الالتزام الذي يبدع فيه من غير تجاوز، وهذه هي خصوصيات الزخرفة الإسلامية التي نتناولها في هذا الدرس.

أولا: مفهوم الزخرفة

تتنوع أساليب الزخرفة من الفسيفساء والقيشاني، والرخام، والآجر، والجص والخشب، مما يستعمل في تغطية السطوح، وتسقيف المباني على نحو بديع تتناغم فيه الألوان، وتتكرر فيه الصور الجمالية، مع توفير المتانة، وتأدية دور الحماية. وتعتبر الزخرفة الوسيلة الجمالية المحببة للفنان المسلم، حيث يحرص على ملء الفراغات، وإبهاج النظر بالألوان، واستحداث أنماط تعبيرية بالفرشاة وأداة النقش بما يطرد الكآبة، ويسجل بصمة حضارية راقية في الفنون المعمارية.

وبناء على ذلك يكون مفهوم الزخرفة:

"الزخرفة فنّ إسلامي يستخدم التلوين، والنقش، والتطعيم، والطرز وسيلة له وميدانه هو المعمار، والأثاث، والألبسة والأفرشة بما يغير ألوانها، ويزينها بأشكال تبهج النظر، كما يغيّر أشكالها ويحدث فيها النتوءات والانحناءات والأشكال المتكررة المتناغمة المعروفة بالمقرنصات، إضافة إلى صنع المجسمات المادية المزينة . فالزخرفة في حقيقتها هي التزيين، والتجميل الذي يحدثه الفنان المسلم في الأسطح والأغراض مغيرا أشكالها وألوانها إلى البديع الذي ترتاح إليه النفس"[1].

[1] ـ عبد الله عطية، الآثار والفتنون الإسلامية، ص61

ثانيا: مراحل تطوّر الزخرفة الإسلامية:

يمكن تقسيم المراحل الزمنية لفن الزخرفة الإسلامية إلى أربعة حسب التغيرات الحاصلة فيها[1]:

1 ـ **المرحلة الأولى:** من القرن الأول إلى القرن الثالث الهجري، وهي مرحلة التأثر بالفنون المحلية.

2 ـ **المرحلة الثانية:** من القرن الثالث إلى القرن السابع الهجري، وفيها تمايزت شخصية الفن الإسلامي (أي بدأت تتعدد أنماطها) مع بقاء بعض التأثيرات المحلية.

3 ـ **المرحلة الثالثة:** من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجري، وهي مرحلة التبادل الحضاري مع الصين والمغول بسبب الغزو التتري.

4 ـ من القرن العاشر إلى القرن الثالث عشر الهجري، وهي فترة الازدهار، والقرب من الطبيعة، تلاها الانحدار نتيجة ضعف العثمانيين وسقوطهم.

ثالثا: العناصر الزخرفية

نأى الفنان المسلم عن محاكاة خلق الله تعالى مما تميزت به فنون النحت والرسم من تجسيد البشر والحيوانات وحتى أشخاص الأنبياء والملائكة، فحصر فنه في دائرة الالتزام الذي يبدع فيه من غير تجاوز، ولذلك فقد تميزت الزخرفة الإسلامية بالاعتماد على العناصر الآتية:

1 ـ الزخرفة النباتية:

[1] ـ الشامي، صالح أحمد، الفن الإسلامي التزام وابتداع، ص111.

تتميز الزخرفة الإسلامية بالاعتماد بالدرجة الأولى على الاشكال النباتية المختلفة جنوحا إلى المباح مما لا يتعارض مع المبادئ الإسلامية بدل المجسمات الآدمية والحيوانية والغيبية، وتجسد في هذا السياق النماذج الراقية باعتماد على الغصون والأوراق والأزهار الحقيقية والمتخيلة، مع تطويعها حسب المساحة المراد ملؤها تمديدا، وتشابكا بما يمليه الخيال على الفنان. ويسمى ذلك بـ (الأرايسك)[1] أو التوريق، وكانت المحاكاة المفضلة فيه للنخيل والصنوبر والسوسن بطريقة بديعة تعتمد على التفريع والتشابك على نحو يشغل المساحات الفارغة، ويعطي أشكالا مميزة.

وقد استُعملت هذه الزخارف في تزيين الجدران والقباب، وفي التحف المختلفة زجاجية ونحاسية وخزفية، وفي تزيين صفحات الكتب وتجليدها. "وقد تكون هذه الزخرفة ثنائية الاتجاه ـ كما هو الغالب في الزخرفة التي نراها على الحيطان والأبواب والسقوف والسجاد والأثاث، وكذلك في صفحات الكتب وأغلفتها، وقد تكون ثلاثية الاتجاه كما ترى في الأعمدة أو العقود، وفي المقرنصات في أعالي البوابات أو جدران القباب"[2]

ولم يكن هذا الفن الزخرفي من ابتكارات المسلمين، فقد استعمله فنانو الحضارات السابقة، ولكنهم ابدعوا في ترتيبه وتوزيعه على المساحات، مع لمسة فنية نابعة من روح الالتزام بهدي الإسلام جعلت له طابعا إسلاميا خالصا.

2 ـ الزخرفة الهندسية:

[1] ـ أطلق المتخصصون الأوربيون في الفن الإسلامي على المصطلح على نوع من الزخارف الإسلامية ذات الفروع النباتية، والتوريقات الزهرية، والكتابات والتحويرات الحيوانية الهندسية، ولعل السبب في هذا الإطلاق أنّ الفنان المسلم مزج مزجا عجيبا بين التوريقات وبين الزخرفة الهندسية، بل والزخارف الخطية فوصل إلى الذروة في هذا الاتجاه.

[2] ـ الشامي، صتاح أحمد، الفن الإسلامي التزام وابتداع، ص171.

تبرز العناصر الهندسية بقوة في الزخرفة الإسلامية باعتبارها من مكوناتها الأساسية، وهي زخرفة متبعة في سائر الحضارات، لكنها شهدت تطورا غير مسبوق لدى المسلمين، حيث برعوا في استغلال الأشكال الهندسية المتنوعة من مربعات ومثلثات ودوائر وسداسيات وخماسيات وثمانيات بطريقة متكررة أو متشابكة ترسم منفردة، أو مقترنة بالعنصر النباتي على نحو بديع.

وقد زيّنت هذه الزخارف المباني، كما وشحت التحف الخشبية والنحاسية، ودخلت في صناعة الأبواب وزخارف السقوف، وهي ذات اهمية فنية بالغة في إبداع الفنان المسلم، من حيث مطابقتها لمنهجه في الابتعاد عن تجسيد المحرمات والغيبيات، "ولقد استطاع المسلمون استخراج أشكال هندسية متنوعة من الدائرة، منها المسدس والمثمن والمعشر، وبالتالي المثلث والمربع والمخمس، ومن تداخل هذه الأشكال مع بعضها، وملء بعض المساحات، وترك بعضها فارغا نحصل على ما لا حصر له من تلك الزخرفات البديعة التي تستوقف العين لتنتقل بها رويدا رويدا من الجزء إلى الكلّ ومن كلّ جزئي إلى كلّ اكبر"[1]

3 ـ الزخرفة الخطية:

اتجه الفنان المسلم إلى الخط العربي فجعله مادة رئيسية في زخارفه وإبداعه، خاصة وأنه مرتبط بالقرآن الكريم الذي عُني بجمعه في المصاحف، وتنوعت الخطوط التي كُتب بها، مع الاعتناء بالتجليد والتذهيب، وصارت الآيات القرآنية مادة زخرفية تزين بها المساجد، والمؤسسات العلمية، ومداخل القصور والبيوت، وشواهد القبور، فقلما نجد معمارا أو تحفة فنية تخلو من الآيات والأحاديث والحكم، كما نجد النصوص أو الكتابات التأسيسية التي تؤرخ للأثر أو المبنى، وتحتوي على معلومات تخص

[1] ـ الشامي، صالح أحمد، الفن الإسلامي التزام وابتداع، ص173.

المشرف على الإنجاز، وتاريخ تدشينه، وقد قامت هذه الكتابات بوظيفتين في آن واحد، الأولى زخرفية تجميلية، والثانية تسجيلية تعين المؤرخين والأثريين في رصد التاريخ والحقب الزمنية.

وللزخرفة الخطية نمطان[1]:

الأوّل: الخط المنحني الذي يدور هنا وهناك متجولا في حرية وانطلاق في حدود المساحة المخصصة للزخرفة عليها، وهو لا يخرج عليها، ولكن يعطي إحساسا بالمطلق، والاستمرار إلى ما لا نهاية.

والثاني: النمط الهندسي الذي تكون وزيفته تحديد مساحات تتكون منها حشوات، تتجه نحو الدقة والصغر كلما ازدهر الفن.

"وقد عُرف المسلمون بهذا الفن من بين الفنون جميعها، حتى قيل إنّ الفن الإسلامي فن زخرفي، ذلك أنه لا يكاد يخلو أثر إسلامي من زخرفة أو نقش ـ مهما كان شأنه ـ بدءا من الخاتم الذي تُحلّى به اليد، وانتهاء بالبناء الضخم الواسع"[2] ولا يكاد العنصر الخطي يقتصر على الأمم الإسلامية العربية، بل أصبحت تستخدم عند الفرس والأتراك، وانتقلت حتى إلى الغرب إعجابا وتأثرا.

وكثيرا ما تمتزج هذه العناصر فيما بينها، وتنسجم لإعطاء صورة بديعة للمعلم المزخرف، تتألق فيها الألوان، والأشكال، وتمرّر الكتابات رسائل حضارية وتاريخية مهمة عبر القرون.

خاتمة

للزخرفة الإسلامية خصوصية راقية بين الفنون المتعلقة بغيرها من الحضارات، فهي تقوم على مبادئ تحفظها من الزيغ، وترتقي جماليا، وتستعمل عناصر ثابتة بإبداع جلي، وكثيرا ما تمتزج هذه العناصر فيما بينها، وتنسجم لإعطاء صورة بديعة للمعلم المزخرف، تتألق فيها الألوان، والأشكال، ومن مميزات هذا الفن الإسلامي أنه يُلزم عين المشاهد بالحركة، ويثير المتعة والراحة في النفس، وتمرّر الكتابات رسائل حضارية وتاريخية مهمة عبر القرون. وتعتبر الزخرفة من دلالات الطرز والأساليب التي ميزت العهود الإسلامية عن بعضها.

---

[1] ـ الألفي، أبو صالح، الفن الإسلامي، دار المعارف، ط3، ص101.

[2] ـ الشامي، صالح أحمد، الفن الإسلامي التزام وابتداع، ص170.

المحاضرة 09 : فن الموشحات

❖ أهداف المحاضرة:

- ✓ التعريف بالموشحات الأندلسية
- استخلاص الفرق بين الموشحات وقوالب الشعر الأخرى
- التعريف بأغراض الموشحات
- إثارة قضايا متعلقة بالموشحات

❖ عناصر المحاضرة:

- ـ مقدمة
- ـ مفهوم الموشحات
- ـ أغراض الموشحات
- ـ أصل الموشحات
- ـ خاتمة

مقدمة:

الموشحات فن أندلسي خالص توارثته الأجيال، ولخص خصوصية الحضارة الأندلسية وأعطى صورة عن الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية من خلال الأغراض المتنوعة التي جاء عليها، حيث تشبه الموشحات في تركيبها الشعر أكثر من النثر، غير أنها لا تتطابق مع المعروف والمعهود من الشعر العربي العمودي المتميز بالقافية والوزن، ونخصص هذه المحاضرة المندرجة في محور الفنون الإسلامية لهذا الفن الأصيل تعريفا، وتصنيفا، ووقوفا على حقيقة أصله.

أوّلا: مفهوم الموشحات

يرجع الأصل اللغوي لفن الموشح إلى الوشاح، وهو من حلي المرأة وزينتها[1]، وتناول أهل البلاغة التوشيح بمعنى دلالة آخر الكلام على أوله، وهو مفهوم يقترب من التسمية الأندلسية لهذا الفن الشعري، فالموشحة قد تنتهي بالغرض الذي ابتدأت به، واستعير هذا اللفظ للموشح لأنّ أقفاله وأبياته وخرجاته كالوشاح للموشحة، فهو يجمع عدة ألوان تختلف فيما بينها، وتسلّم إحداها إلى الأخرى عبر أقفال، بخلاف الشعر التقليدي الذي يأتي على طراز واحد، بقافية ثابتة، وأوزان خليلية مرعية.

وعليه فالموشح هو:" **كلام منظوم على وجه مخصوص، أما الموشحات فهي جمع موشحة، والموشحة قطعة شعرية طويلة في الأغلب تتألف من مقاطع تترتب فيها الأشطر والقوافي على نسق مخصوص**"[2]

وقد ظهر هذا الفن أواخر القرن الثالث الهجري في الفترة التي حكم فيها الأمير عبد الله بن محمد، حيث شاع الغناء والطرب، وهبّ الأدباء إلى الإبداع المتناغم مع البيئة والأجواء السائدة.

---

[1] ـ ابن منظور، لسان العرب، مادة و ش ح

[2] ـ تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، 422/4,

ثانيا ـ أغراض الموشحات

نظمت الموشحات الأندلسية لأغراض مختلفة غلب عليها الغزل واللهو، وتخللتها الزهديات والحكمة، وجاءت على النحو الآتي[1]:

الغزل: أكثر الموشحات جاءت لغرض الغزل، ونميز منها قسمين: قسم اقتصر على الغزل، وقسم مزج بينه وبين الأغراض الأخرى كالمدح والخمر ووصف الطبيعة.

الخمريات: غالبا ما كان التغني بالخمر مبثوثا في موشحات الغزل والمدح، ووصف الطبيعة، حيث برع الوشاحون في وصف مجالس الخمر، والتغني بما تثيره في النفس من نشوة.

وصف الطبيعة: الوشاح الأندلسي مفتون بجمال بيئته، وسخر الطبيعة فيها، ولذلك فقد أبدع في استعمال الموشحات لهذا الغرض، وخصص جانبا هاما منها لوصف الحدائق والقصور بأرجائها البهيجة وحضرتها النضرة.

ثالثا: أصل الموشحات[2]

أثار تفرّد الموشحات في شكلها الجدل بين النقاد من المسلمين وغيرهم، وتعدّدت مشاربهم في تأصيل هذا الفن، على نحو موضوعي تارة، ومتحامل تارة أخرى، وفيما يلي أبرز هذه النظريات.

1 ـ الأصل الأعجمي للموشحات

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الموشحات من أصل غير عربي، وخاصة منهم المستشرقون الذين اتخذوا موضوع اللهجات في الأندلس حجة لما ذهبوا إليه، وحجتهم في ذلك النظم الغريب للموشحات على طريقة الفقرات، وازدراء أصحاب الشعر التقليدي للموشح، والختم بالخرجات الأعجمية فيها.

---

[1] ـ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، 144/8.

[2] ـ سهام داوي، الأصل القرآني للموشحات الأندلسية، مجلة العلامة، جامعة ورقلة، العدد4، جانفي 2018م، ص94 وما بعدها.

الردّ: هذه حجج مردودة من الأصل، لأنّ التجديد في الفنون الأدبية غير معيب، ولأنّ ما عابه التقليديون سبق وأن عابوا به التجديد الذي حصل في العصر العباسي للقصيدة العربية، أما الخرجات الأعجمية فذاك من التفنن وليس حجة لجعلها أصلا.

2 ـ تأثير البيئة الأندلسية

يرى أنصار هذا المذهب أنّ السبب في اختراع فن الموشحات هو اللهو لا غير، حيث جاءت في نغميتها وتركيبتها مناسبة لجو السمر والمرح الذي كانوا عليه، وقد أبدعت لمجرد الالتهاء بها وليس لجمالية خاصة، أو تطور فني أدبي، وفي ذلك ما فيه من التقليل من شأن الأندلسيين في الذائقة الأدبية.

3 ـ الأصل القرآني للموشحات

يكاد هذا الاتجاه يكون الأقرب في حجته، فالوشّاحون هم مسلمون تشربوا بلغة القرآن الكريم، وانطبعوا بطابعه في كلامهم وأساليبهم، ولا شك أنهم قد أعجبوا بأسلوب التعقيب المكرر في بعض السور باللازمة التي حملت معاني التوبيخ والتذكير والتهديد، على غرار لازمة سورة الرحمن، والمرسلات، والشعراء، والقمر، ولذلك لجأوا إلى نظام الأبيات المختتمة باللازمة مع تحديد العدد الذي ساروا عليه غير متجاوزين الأبيات الستة.

خاتمة

الموشحات فن أندلسي عربي اصيل، اضاف إلى فنون المسلمين ولم يكن نشازا، وكما هو الحال في الشعر ففي الموشحات المهذب والماجن، وفيها مضامين الحكمة والزهد، كما فيها ما يغري النزوات ويؤججها من الغزل والخمريات.

المحاضرة 10 : المسرح الإسلامي

❖ أهداف المحاضرة

- ✓ ـ الاطلاع على فن إسلامي جديد متكامل الأداء
- ✓ ـ الوقوف على مميزات المسرح الإسلامي وضوابطه الشرعية
- ✓ ـ التحفيز على النشاط الالفني المسرحي الهادف

❖ عناصر المحاضرة:

- ـ مقدمة
- ـ نشأة الدعوة إلى المسرح الإسلامي
- ـ مفهوم الفن الإسلامي
- ـ مميزات المسرح الإسلامي
- ـ ضوابط المسرح الإسلامي
- ـ خاتمة

مقدمة:

المسرح أبو الفنون، لأنه من أقدمها ولأنه منبر غير تقليدي للتوجيه والإرشاد والتربية والتعليم والدعوة إلى قيم الحق والخير والجمال. وهو بكل ما يشمل من الفنون يمكن ببعض الجهد توظيفه ليصبح درعا للإسلام في مواجهة الغزو الدرامي المدمر الذي يخترق البيوت والرؤوس، فالنفس البشرية تحتاج إلى تهذيبٍ وترويحٍ كما يحتاج الجسد إلى الطعام والشراب. وما كان الدين الإسلامي ليبقى وينتشر ويستمر لو لم يف بكافة احتياجات الإنسان النفسية والجسدية.

أوّلا: نشأة الدعوة إلى المسرح الإسلامي

ظهرت مع ثمانينات القرن الماضي بوادر الدعوة إلى أسلمة الفن المسرحي مع كلّ من : عماد الدين خليل، ونجيب الكيلاني، ومصطفى محمود وغيرهم، في سبيل تحرير الإنسان المسلم من العبثية والفوضى الأخلاقية التي تروج لها الفنون عامة، حيث يؤكد الباحث العراقي (عماد الدين خليل) أنّ المسرح قبل كل شيء هو فن جميل مركب وشامل، يمكن الاستعانة به للتعبير عن مشاكلنا وقضايانا الحضارية، ويمكن أن يتحول إلى أداة للتهذيب أو التعليم أو التوجيه أو الإرشاد من جهة، والإدانة والرفض لتغيير الواقع الفاسد من جهة أخرى، عبر مضمون هادف، ورسالة واضحة تدعو إلى الخير، وتزين الفضائل، وتبتعد عن الترويج للرذائل. ويستطرد مبيّنا خصوصية هذا الفن الراقي:" على الرغم من أنّ حهابذة الفكر الإسلامي في العصر العباسي ـ عصر الازدهار والمعرفة والتقدم العلمي ـ قد ترجموا آثار اليونان والهند وفارس في شتى فروع الفكر والفلسفة والعلم والآثار الأدبية البارزة، إلاّ أنهم أحجموا عن ترجمات المسرح الإغريقي، وترجموا فلسفة أرسطو، لكنهم رأوا أنّ مسرح الإغريق مليء بالمعتقدات الدينية التي تتنافى مع عقيدة التوحيد الصافية، فلدى الإغريق أعداد كبيرة من الآلهة المتصارعة المتحاربة، والتي تحركها النزوات والأطماع البشرية، فوجدوا أنّ طقوس المسرح واشخاصه وحواره، لا يتفق وطبيعة الإسلام وتصوّره لماهية الكون والمشيئة والقدر والإرادة"[1]

[1] ـ عماد الدين خليل، المسرح الإسلامي، ندوة الأدب الإسلامي، ص7.

ثانيا: مفهوم المسرح الإسلامي

"المسرح الإسلامي هو ذلك المسرح المتكامل شكلا ومضمونا ورؤية، يحمل رؤية إسلامية ربانية شاملة ومنسجمة ومتناسقة في نظرتها إلى الكون والإنسان والحياة، فهي نظرة متوازنة بين المادة والروح، وموفقة بين الدنيا والآخرة، ومزاوجة بين العقل والعاطفة، للسمو بالإنسان إلى قمة الفضيلة والأخلاق النبيلة"[1].

وقد ظهرت مجموعة من المسرحيات الإسلامية المعاصرة في الحقل الثقافي العربي كمسرحيات علي أحمد باكثير (السلسلة والغفران، التوراة الضائعة، عودة الفردوس..) ومسرحيات عماد الدين خليل (المأسورون، المغول، الهمّ الكبير..)، ومسرحيات علي الصقلي (أبطال الحجارة، المعركة الكبرى، والفتح الأكبر..)، كما تضمنت مجلة الأدب الإسلامي منذ صدورها نصوص مسرحية نثرية وشعرية لمن أراد أن يجسدها على الخشبة تمثيلا وأداء .

ثالثا: مميزات المسرح الإسلامي[2]

ـ يتميز المسرح الإسلامي برؤية ربانية قائمة على توحيد الله، ونصرة الحق، وإبطال الباطل، والدعوة إلى العدالة والمساواة.

ـ يجمع المسرح الإسلامي بين الفائدة والمتعة، ويتأرجح بين الجدّ والترويح عن النفس.

ـ يبتعد المسرح الإسلامي في مقوماته الفنية والجمالية عن المسرح الغربي المرتبط بالفوضى، والحيرة، والبؤس والشقاء، وإفلاس منظومة القيم.

ـ يقدم المسرح الإسلامي مضامين هادفة وجادة ذات تصورات ورؤى مقصدية لبناء المجتمع الإسلامي.

---

[1] ـ عزام، محمود، رسالية الفن الإسلامي، مجلة الوعي الإسلامي، العدد44، السنة 32، ص154.

[2] ـ يُنظر: عماد الدين خليل، المرجع السابق، ص22.

ـ يركز المسرح الإسلامي على التطهير الأخلاقي عبر الصراع بين الفضيلة والرذيلة

ـ التشديد على الرسالة في بناء الشخص حضاريا، وتوعيته اخلاقيا، قبل التشديد على الشكل والجمال والزينة

رابعا: ضوابط المسرح الإسلامي[1]

يلتزم محترفو الفن المسرحي من مؤلفين وممثلين بجملة من الضوابط هي:

1- البعد عن تشخيص وتجسيد رسل الله وأنبيائه.

2- تضمينه ما يبرز عظمة الإسلام وسيرة الفتوحات.

3- تخلو أحداثه من الحض على الذنوب صغيرها وكبيرها.

4- .الخاتمة الموعظة.

5- لا تصاحب فاعليته مفسدة كالزنا وشرب الخمر أو إضاعة الصلاة.

خاتمة

المسرح الإسلامي خطوة متقدمة نحو إثبات أصالة الفنون لدى المسلمين، حيث تستعين به الدعوة الإسلامية في الإرشاد والتوجيه والنصح، وتتجلى من خلاله المواهب والطاقات الساعية إلى تقديم الفن الراقي في مواجهة الفن الهابط المنتشر، وتسخيره للوعظ والترغيب في ألأخلاق الفاضلة في مقابل التحذير من الأخلاق السيئة، وبيان مغبتها وتداعياتها على الفرد والمجتمع، كما يستعمل في الإشعار بالقضايا العادلة، وشحن التعاطف معها.

[1] **ـ يُنظر: عزام، محمود، رسالية الفن الإسلامي، مجلة الوعي الإسلامي، العدد44، السنة 32، ص155.**

المحاضرة 11: الأذان عبادة صوتية

❖ أهداف المحاضرة

- ✓ ـ التنبيه للجانب الفني في الأذان
- ✓ ـ التعرف على مقامات الأذان
- ✓ ـ تعيين الخصوصية الجزائرية في أداء الأذان

❖ عناصر المحاضرة

- ـ مقدمة
- ـ مشروعية الأذان
- ـ مقامات الأذان
- ـ الأذان على الطريقة الجزائرية
- ـ خاتمة

مقدمة:

العبادة هي الصلة بين العبد وربه، وقد جعل الإسلام للصوت الحسن في أداء بعضها ضرورة، لما يحدثه ذلك من تأثير في القلوب، قال (ابن تيمية):" فإنّ سماع الأقوال شراب وغذاء وقوت للقلوب، فيجتمع سماع الحروف الطيبة والأصوات الطيبة، فإنّ ذلك أقوى مما إذا انفرد أحدهما"[1]، فالفطرة تحب الصوت الجميل، والإسلام لم يمنع ذلك، بل هذبه استبعادا للمجون والعفن، وأباح ما ترتاح إليه النفس، ويحصل به التأثير، ولا أجلى اثرا من الأذان، وتلاوة القرآن وطيب الألحان من الأناشيد الراقية التي ابدع فيها المنشدون تشجيعا على الفضيلة، وتحميسا للجهاد، وتغنيا بجمال الطبيعة، ومدحا للنبي صلى الله عليه وسلم.

أوّلا: مشروعية الأذان:

الأذان هو النداء للصلاة، يتكرر خمس مرات في اليوم، اختار له النبي صلى الله عليه وسلم من بداية اتخاذه الصوت الحسن ليجمع بين الإعلام بدخول الوقت، والتأثير في النفوس لتستجيب وتقبل على بيوت الله تعالى. وقد شرع في السنة الأولى من الهجرة.

وفي رواية مشروعيته أنّ عبد الله بن زيد رأى الأذان في المنام، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال، فألق عليه ما رايت، غليؤذن به، فإنه أندى صوتا منك". فقمت مع بلال، فجعلتُ ألقيه عليه، ويؤذن به"[2]

وتأكد في حوادث عدّة اختيار النبي صلى الله عليه وسلم لصاحب الصوت الحسن كي يرفع الأذان على الناس، ففي عودته من غزوة حنين سمع بعض من كان معه من مسلمي مكة الجدد وهم يقلدون

---

[1] ـ **الاستقامة لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، 147/2.**

[2] ـ **رواه ابو داود**

الأذان، فأُعجب بالصوت، فقال: "قد سمعت في هؤلاء تأذين إنسان حسن الصوت" فأرسل إليهم، وسأل عن صاحب الصوت، ثمّ علمه الأذان، ثمّ كلّفه به"[1]

وفي حديث أبي محذورة قال:" قلت: يا رسول الله، علمني سنة الأذان. قال: فمسح مقدم راسي، قال: تقول: الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر ـ ترفع بها صوتك ـ ثم تقول: أشهد أن لا إله إلا الله، اشهد أن لا إله إلا الله، أشهد انّ محمدا رسول الله، اشهد أنّ محمدا رسول الله ـ تخفض بها صوتك ـ ثمّ ترفع صوتك.."[2]

وهذا دليل على ضرورة الصوت الحسن، والأداء المتقن في رفع الأذان، حيث اشرف على ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه، ملقنا اللفظ مع طريقة أدائه، وموضحا مقامات الرفع والخفض، فلا يكون الصوت على وثيرة واحدة.

ثانيا : مقامات الأذان

كان مؤذنو المساجد السلطانية الكبرى في اسطنبول والولايات العثمانية الآخرى يرفعون أذان كل صلاة بمقام مختلف عن الآخر.

فكانوا يرفعون أذان الفجر بمقام الصبا، وهو مقام الحزن والخشوع والوحدة والبكاء بين يدي الله..

وأذان الظهر كانوا يرفعونه بمقام الرست، وهو مقام الاستقامة، ورفع الأذان بهذا المقام للتذكير بواجب الاستقامة والأمانة أثناء العمل.

وأذان العصر كانوا يرفعونه بمقام الحجاز، وهو مقام الشوق والحنين الى الديار المقدسة لأداء عمرة أو حج كمكافأة من الله للمسلم على ما قام به من عمل طوال اليوم.

---

[1] ـ رواه النسائي

[2] ـ رواه مسلم وغيره

وأذان المغرب كانوا يرفعونه بمقام السيكا (البنجكاه)، ويعني التفكر والتأمل في ملكوت الله خصوصاً مع لحظات غروب الشمس.

وأذان العشاء كانوا يرفعونه على مقام يشبه مقام البيات في السلم الصوتي، وهو بالتالي مقام الفرح والأنس والراحة بما قام به المسلم من طاعات وواجبات تجاه ربه ودينه.

ملاحظة: إلقاء المحاضرة مرفق بفيديوهات توضيحية للطلبة للإنصات للنماذج

ثالثا: الأذان على الطريقة الجزائرية

أصل الأداء في الأذان الجزائري هو المدرسة الأندلسية المغاربية، في مدينة الجزائر، كان الأذان يتم وفق أسلوب أندلسي معروف بـ: "الصنعة"، واستلهمت قسنطينة أذانها من موسيقى "المالوف"، وتلمسان من الغناء "الغرناطي". وكان الأذان يتم حسب النوبة، أو المقام، الذي يتوافق مع مزاج المؤذن وخاصة نوبة الزيدان المشهورة في البليدة والقليعة وشرشال.

وكان أذان البدء في الصلاة يتم تقريبا على نفس النحو مع بعض التباينات الطفيفة. لكن العادات كانت تقتضي أن تكون النوبة التي يُعلن بواسطتها إقامة الصلاة هي نفسها التي تُعتمد في تلاوة القرآن أوتجويده أثناء الصلاة.

أما أذان صلاة العيد وتكبيرة العيد، فكان أداؤهما يتم وفق نوبة السيكة القريبة جدا من الفلامينكو الإسباني. ويتردد في الأوساط الحضرية لمدينة الجزائر أن أول مَن وضع ألحان هذه التكبيرة التي أصبحتْ تقليدا وطنيا في الجزائر هو المفتي الحنفي التركي أبو الحسن العتري أو العنتري قبل نحو 5 قرون[1].

ملاحظة: إلقاء المحاضرة مرفق بفيديو توضيحي للطلبة للإنصات للنماذج

[1] **ـ فوزي سعد الله، الأذان الأندلسي في حاضرة الجزائر، من كتاب: الشتات الأندلسي في الجزائر، دار قرطبة، 2005م، ص64.**

خاتمة:

منذ شرع الأذان في السنة الأولى للهجرة بقيت المآذن ترفعه في مشارق الأرض ومغاربها، وتفنن المؤذنون في أدائه على مقامات متعددة أملتها البيئة وأوقات رفعه، بما يثير الخشوع، ويحقق الغاية منه في حث المسلمين على التوجه إلى المساجد، وإقامة صلواتهم فور الإعلان عن دخول وقتها، وبالنظر إلى الدور الذي تضطلع به هذه الشعيرة الدالة على الانتماء إلى هذا الدين فإنها تحظى باهتمام كبير في تكوين مؤديها، وتلقين مقاماتها حتى تؤدى على أفضل ما يُشترط فيها.

المحاضرة 12: فن تلاوة القرآن

❖ أهداف المحاضرة

- ✓ ـ تقدير الجانب الفني في تلاوة القرآن
- ✓ ـ ربط التلاوة بالمقامات
- ✓ ـ توسيع معارف الطلبة حول فن الترتيل

❖ عناصر المحاضرة

- مقدمة
- مفهوم التلاوة
- مقامات التلاوة
- أشهر المقرئي العرب والجزائريين (فيديوهات توضيحية)
- خاتمة

مقدمة

التلاوة من أوجب ما يراعى في قراءة القرآن الكريم تحسينا للأداء، وضبطا لمخارج الحروف، وقد وردت أحاديث كثيرة في هذا الصدد، منها قوله صلى الله عليه وسلم:" **ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي أن يتغنى بالقرآن**"[1]، وكذلك قوله:"**زينوا القرآن بأصواتكم، فإنّ الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا**"[2]، وحسبنا قبل ذلك أنّ الله تعالى قد قال:" **ورتل القرآن ترتيلا**"(المزمل 4) ، ففوق كونه عبادة، هو في ذاته جمال وتفنن لا يليق بنا إغفاله في هذه المادة التي نعرض من خلالها فنون المسلمين التي تميزوا بها عن غيرهم.

أوّلا: مفهوم التلاوة

التلاوة معناها القراءة عموماً، وأما الترتيل فهو مرتبة من مراتب تلاوة القرآن الثلاثة المعروفة عند علماء التجويد وهي –بعد الترتيل–: الحدر، والتدوير، فالترتيل في اصطلاح القراء هو "قراءة القرآن على مكث وتفهم من غير عجلة"، وهو أفضل مراتب التلاوة، لأن القرآن نزل به، كما قال تعالى: وَ**قُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ**" (الإسراء:106)، وقال تعالى: "**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا**"(المزمل:4).

ثانيا: أنواع التلاوة

لتلاوة القرآن تبعاً إلى سرعة الأداء ثلاث مراتبٍ، وهي:

1. **التحقيق**: ومعناه في اللغة التأكّد والتدقّق، أمّا اصطلاحاً هو الترسّل في التلاوة بها، مع مراعاة أحكام التجويد فيها من غير إفراطٍ، فيُعطي القارئ فيها لكُلّ حرفٍ حقّه من الإشباع والإتمام

[1] **ـ رواه البخاري، باب الأذان.**

[2] **ـ صحيح الجامع الصغير.**

والتحقيق والتشديد، مع التحرّز من الإفراط والمبالغة في الغنّات وإشباع الحركات تفادياً لتولّد بعض الحركات.

2. **الحدر**: ومعناه لغةً الإسراع، أمّا اصطلاحاً هو سرعة القراءة وتخفيفها وإدراجها وإقامة الإعراب، مع مراعاة القارئ لأحكام التجويد كُلّها دون إفراطٍ في أيّ منها، والتحرّز من نقص المدود والإدماج ونقص الغنّات.
3. **التدوير**: ومعناه لغةً جعل الشيء على شكل حلقةٍ، أمّا اصطلاحاً هو القراءة المتوسّطة بين التحقيق والحدر، أمّا الترتيل فهي مرتبةٌ تعمّ المراتب السابقة كُلّها.

ملاحظة: توضح معلومات هذا العنصر بالعرض الصوتي لكلّ نوع، مع الحرص على إشراك الطلبة المرتلين في تقديم تلاوات مناسبة.

ثالثا: مقامات التلاوة

ملاحظة: مبنى هذا العنصر على عروض صوتية باستعمال الفيديوهات المنتقاة لمختلف المقامات وعرضها عبر جهاز العاكس الضوئي.

خاتمة

تلاوة القرآن الكريم عبادة يحصل بها الأجر، وترتفع بها الدرجات، وهي من ألوان الأداء الفني الإسلامي الأصيل، حيث يترنم بها أصحاب الحناجر الذهبية، والأصوات الشجية، فينصت لهم غيرهم في الصلوات وعند تسجيل التلاوات ليزدادوا تأثرا وإقبالا على القرآن الكريم، وهي من الفنون التي تخدمها المقامات، وتتنوع بها القراءات الخاشعة للقرآن الكريم بحسب رواياته الصحيحة، وبقدر قوة صوت القارئ، مع تأثير للمدارس في ذلك.

فهرس الموضوعات

تقديم.....**ص01.**

بطاقة تقنية للمادة.....**ص02**

أهداف المادة.....**ص03**

قائمة المراجع المساعدة.....**ص05**

برنامج المادة.....**ص07**

تمهيد.....**ص09**

المحور الأول: الآثار الإسلامية.....**ص10**

المحاضرة 01: مدخل إلى علم الآثار ص10

المحاضرة 02: ـ مفهوم الآثار الإسلامية وأنواعها.....ص20

المحاضرة 03: المدينة الإسلامية ومكوناتها ص28

المحاضرة 04:ـ العمارة الإسلامية: العمائر الدينية.....ص41

المحاضرة 05:ـ العمارة الإسلامية: العمائر المدنية.....ص50

المحاضرة 06:ـ حصة تطبيقية حول العمران الإسلامي في الجزائر (جامع الجزائر الأعظم)ص57

المحور الثاني: الفنون الإسلامية.....**ص63**

المحاضرة 07 ـ مفهوم الفن الإسلامي ومميزات طرزه.....ص65

المحاضرة 08: ـ فن الزخرفة.....ص73

المحاضرة 09 ـ فنّ الموشّحات.....ص79

المحاضرة 10 ـ المسرح الإسلامي.....ص83

المحاضرة 11 ـ الأذان عبادة صوتية.....ص87

المحاضرة 12 ـ فن التلاوة القرآنية ص92

فهرس الموضوعات.....ص95